

الثمن

نصوص الردة في تاريخ الطبري



بقلم
الشيخ محمد حسن آل ياسين



منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

نصوص الردة في تاريخ الطبري

نقد وتحليل

نصوص الردة في تاريخ الطبري

نقد وتحليل

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

ـ الطبعة الاولى ، بيروت ، ٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م
ـ الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م
ـ الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين



قبل سنتين ، وخلال احدى محاضراتي العامة ـ وكانت تعنى ببعض القضايا التاريخية ـ لمّحت ـ من دون تفصيل ـ الى ضرورة توفر عنصر الشك والتأمل الفاحص حينما نريد قراءة النصوص التي تضمها كتب التاريخ ، وذلك لما حفلت به تلك الكتب من اكداس الكذب والتلفيق والتزوير ، مما دعت اليه مصلحة لنظام حكم او تزلف لحاكم او تبرير لعمل معين . ثم اشرت استطرادا الى ان دراسة من هذا القبيل ستقلب على الاعقاب كثيراً مما نظنه اليوم حقائق لا يعتريها شك او ريب ، وستأخذ بنا الى آفاق جديدة ما كانت تخطر على بال .

وضربت مثلا على ذلـــك – وما زلت مستطردا – قصة الردة وادعاء النبوة وما رافق كل ذلك من احداث مؤلمة راح ضحيتها الآلاف من النـــاس ، بل راح ضحيتها ذلك الشعب المسلم الموحد الذي انقسم منذ ذلك اليوم .

وبعد انتهاء المحاضرة تحداني صديق مثقف فاضل فيما اذا كنت قادرا عن طريق البحث الموضوعي الجاد على اثبات ذلك وفيما اذا كانت هنـاك دلائل او قرائن يمكنني الاستعانة بها في دعم ما سبق مني قوله .

وقبلت التحدي بكل رحابة صدر .

ومرت الايام وانا بانتظار الفراغ الكـــافي لبحث هذا الموضوع حتى ظفرت بما اريد ، فسارعت الى كتابة خلاصة لهذه الدراسة نشرتها في مجلة « البلاغ » العراقيـــة على شكل مقـالات متسلسلة حظيَت – بحمد الله – بكثير من الاهتمام والعنـــاية من قبل الدارسين المعنيين بهذا الجانب من جوانب ثقافتنا التراثية التي نعيد صياغتها اليوم على ضوء المنهج العلمي المحـــايد .

ولقد سبق لي أن قلت في التمهيد لهذا البحث :

اني ما فتحت يوما كتابا من كتب التاريخ الاسلامي المعنية بحوادث القرن الاول الهجري الا اعترتني دهشة بالغة الاثر ، شديدة الوقع ، تغمرني بالاستغراب والألم وانا استعرض تلك الاكداس

الضخمـــة من الروايات والقصص والوقائع التي تتحدث عن ارتداد المسلمين اثر وفاة النبي «ص» بالجملة وبالمفرد وخروجهم من حظيرة الدين زرافات ووحدانا ، لا ليعودوا الى جاهليتهم الاولى ، وانما ليقروا بنبوات مزعومة يحمل رايتهـــا طليحة ومسيلمة وسجاح ومن على شاكلتهم من الحالمين والفاشلين . وكأن تلك السنين الثلاث والعشرين التي قضاها النبي « ص » منهمكا بنشر الدعوة وتربية الفهم العام وبناء المجتمع العقيدي الجديد ، واقامة الحجج والبينات على سماوية الرسالة وصلاحها لتنظيم الحياة ، وبذل اشق الجهود في سبيل استقرار أمر الدين وتثبيت كيانه وترسيخ بنيـــانه . اقول : كأن تلك السنين وتلك الجهود قد تبخرت وتلاشت وذهبت هبـاء ، كما يتبخر ضباب الفجر تحت وقع حرارة الشمس ، وكما تتلاشى قطع الغيم العالي في ساعات الصحو الجميل ، وكما تضيع مياه النهر الصغير عندما تتلقفها امواج البحر المحيط .

ان نظرة فاحصة يلقيها الباحث على سائر كتب التـاريخ قديمها وحديثها ، ما حرره المؤيدون والمعارضون ، ما كتب بطريق الرواية وما اعتمد منهج النقد ، ما ألفه المشاهير وما لم يشتهر مؤلفه ، ما انتسب الى خط مذهبي معين وما لم ينتسب ، ما اختصره مؤلفه وما طول فيـه . ان النظرة في كل هذه الكتب على اختلافها سوف تحمل لناظرها نتيجة متفقا عليها خلاصتها : ان الارتداد بعد وفـاة النبي « ص » أمر مسلَّم

الوقوع ، ولا مفرّ من القبول به والاذعان له .

ومع كل ذلك فان المسألة لم تزل تلفت نظري وتثير دهشتي وعجبي ، وما زلت شاكا وقوي الشك في وقوع هذا الذي يؤكد التاريخ وقوعه .

وعندما يهمن الشك على انسان مثل هذه الهيمنة يصبح التجرد من كل الرواسب ممكنا، ويكون بقدوره حينذاك أن يتحلى بالموضوعية الكاملة المطلقة ، فيسعى — باخلاص — نحو الحقيقة المنشودة ، باحثا عنها بين الركام ووراء الحجب وفيما بين السطور ، ومهما كانت درجة التضبيب شديدة الاثر في منع الرؤية .

وهكذا كان امري أو سيري مع المسألة .. المشكلة .. تمهلا وتفحصا وتدقيقا .

واقتصرت في هذه المرحلة من البحث على نصوص الردة واخبارها كما وردت في تاريخ الطبري بالخصوص ، باعتباره المصدر المهم والرئيسيّ في تاريخ الاسلام وبين المؤرخين المسلمين، وباعتبار ان جلّ المؤلفين المتأخرين عنه قد اغترفوا منه واعتمدوا عليه .

وكانت خلاصة ملاحظاتي وتأملاتي : هذه القصاصات التي اجمع شتاتها وألم اطرافها في هذا الكتاب ، آملا ان أجد في

القراء الافاضل المحققين من يقوم بمهمة النقد والتقويم ، فيرمحني من سطوة الشك وقسوته ويأخذ بيدي الى راحة اليقين والاطمئنان ، ومن الله السداد ، وما توفيقي الا بالله . انه خير موفق ومعين .

العراق / بغداد — الكاظمية
٤ / شعبان / ١٣٩٣ هـ

محمد حسن آل ياسين

١

تؤكد لنا نصوص الطبري ورواياته بما لا شبهة فيه، وبكل قطع ويقين، قضية ارتداد الكثرة الكاثرة من ابناء الامة العربية في الحجاز واليمن ونجد وسائر اطراف الجزيرة عن الاسلام اثر وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتجعل من هذا الموضوع – كما اسلفنا – امرا مسلما هو الواقع المر الذي ليس هناك من واقع غيره .

يقول الطبري :

« وقد ارتدت العرب اما عامة واما خاصة، في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقلتهم وكثرة عدوهم »[1] .

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٢٥، طبعة دار المعارف بمصر، القاهرة ١٣٨٢ هـ .

ويقول في مكان آخر :

ولما فصل اسامة كفرت الارض وتضرمت، وارتدت من كل قبيلة عامة او خاصة الا قريشا وثقيفا »[1] .

ويروى ان بعض الناس قد خاطب ابا بكر قائلا : « العرب – على ما ترى – قد انتقضت بك »[2] .

ثم يقول :

« لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفصل اسامة ارتدت العرب عوام او خواص، وتوحّى مسيلمة وطليحة فاستغلظ أمرهما واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان الى ما كان من أشجع وخواص من الأفناء فبايعوه، وقدمت هوازن رجلا، وأخرت رجلا .. وارتدت خواص من بني سليم، وكذلك سائر الناس بكل مكان»[3].

و « كانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان .... في بني تغلب. فتنبّت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٤٢ .
(٢) تاريخ الطبري : ٣/٢٢٥
(٣) تاريخ الطبري : ٣/٢٤٢ وقريب منه في ٣/٢٤٤ .

بالجزيرة »[1] .

وبامكاننا أن نفهرس تلك الروايات واسماء قبائلها وأماكن سكناها وأرقام صفحاتها في الكتاب على النحو الآتي .

ردة طي وغطفان وأسد	٣/٢٤٤
ردة هوازن وسليم وعامر	٣/٢٦١
ردة اهل اليمامة	٣/٢٨١
ردة بني تميم	٣/٢٦٧
ردة اهل البحرين	٣/٣٠١
ردة اهل عُمان	٣/٣١٣
ردة اهل نجد	٣/٣١٦
خبر المرتدين باليمن	٣/٣١٨
ردة اهل تهامة	٣/٣٢٠
ردة أهل اليمن ثانية	٣/٣٢٣
ردة أهل حضر موت	٣/٣٣٠

وهنا أجد من حقي أن أقف قليلا لاسأل وأستفهم :

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٦٩ .

هل وقع الارتداد بمثل هـذا الشمول ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

ان الذي يدرس تاريخ الدعوة الاسلامية والسيرة النبوية بامعان يجد أن العرب قد امتنعوا عن الرضوخ لرسالة الاسلام في السنين الاولى من البعثة . ثم لم يكفهم مجرد الامتنـــاع فاستعملوا كل اساليب السخرية والاستهزاء والشتم والتشهير — بل الحرب والقتال ايضاً — في سبيل اطفاء شعلة الاسلام وصد تياره المتدفق ومده الزاحف، ومع ذلك كله فقد استمر النبي (ص) في قيـــامه بواجب الدعوة والتبليغ واقامة المعجزات وفعل خوارق العادات وتحمل سائر ألوان الاذى والتعذيب ، حتى تمت عملية الاقناع ، وتمت نبتة العقيدة و « جاء نصر الله والفتح » ودخل النـــاس في دين الله أفواجاً ، بلا اكراه ولا جبر ولا قسر ولا تعسف ، خصوصاً وان الحروب الرسالية كانت ذات صفة دفاعية أكثر منها هجومية ، كما يتجلى ذلك بوضوح للمتعمقين في دراسة أسباب الغزوات النبوية .

واذن . فهل من المعقول أن يقوم هؤلاء المسلمون المعتنقون للاسلام عن قناعة ورضى وتصديق بحمل رايـة الارتداد عن الدين ؟ .

وهل من المنطقي أن يبادر للارتداد أولئك الذين كانت

مساكنهم بعيدة عن دائرة الحركات العسكرية ولم يصلهم جندي واحد من جنود الاسلام ، وانما كان اسلامهم بمحض رغبتهم واندفاعهم وتصديقهم، مجردا عن كل لون من ألوان التأثير والتوجيه الا تأثير البرهان وتوجيه الدليل ؟ .

وهل جاءهم طليحة أو مسيلمة أو سجاح بمعجزة أسمى أو خارق عادة أقوى من ذلك الذي جاءهم به محمد (ص) حتى يتخلوا عن الاسلام ويتبرأوا منه ؟ .

ان محمداً (ص) على الرغم من كل معجزاته وخوارقه قد اعتبر القرآن الكريم معجزته الكبرى الرئيسية ، وكلنا يعلم أن من جملة أسباب اختيار هذه المعجزة بالخصوص ما كان يشتهر به العرب يومذاك من فصاحة وكلام بليغ ، فجاءهم النبي بما يتحدى ما امتازوا به من فصاحة وبلاغة واتقان لصناعة الكلام ، ولم يجدوا ابداً – بعد كل محاولات الرفض والامتناع – من الاقرار والاعتراف بعجزهم عن الاتيان بمثله.

وهكذا تم الايمان بالاسلام نتيجة الايمان بمعجزته البليغة وكلامه الفصيح الخارج عن قدرة البشر وطاقتهم .

فهل جاءهم طليحة أو مسيلمة أوسجاح بكلام أبلغ من القرآن

وأكثر منه بهاء وروعة وطلاءاً وجمالا فيحملهم على الارتداد واستبدال شيء مكان شيء؟ .

ان طليحة قد خاطب العرب – كما يحدث الطبري – بمثل هذا الكلام :

« أمرتُ أن تصنعوا رحى ذات عُرًا ، يرمي الله بها من رمى ، يهوي عليها من هوى »[1] .

« ابعثوا فارسين ، على فرسين أدهمين ، من بني نصر بن قُعين ، يأتيانكم بعين »[1] .

وخاطبتهم سجاح[2] – على رواية الطبري أيضاً – بمثل قولها :

« أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم غيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب »[3] .

---

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٦٠ ٢٦١ .

(٢) يراجع في قصة زواج مسيلمة وسجاح وما دار بينهما من نثر وشعر من وحي الغريزة والجنس مما لا ترضاه الروح العربية السائدة يومذاك : الطبري : ٣/٢٧٣ ويراجع في صداقها (وهو اسقاط صلاتين مما جاء به محمد: صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر) تاريخ الطبري : ٣/٢٧٤ .

(٣) تاريخ الطبري : ٣/٢٧٠ .

« عليكم باليمامة ، ودفوا دفيف الحمامة ، فانها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة »[1] .

« لا يرد النصف . الا من حنف ، فاحمل النصف الى خيل تراها كالسّهف »[2] .

أما مسيلمة فقد طلع على العرب – برواية الطبري – بمثل هذه الجمل :

« يا ضفدع ابنة ضفدع ، نقّي ما تنقين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين»[3] .

« ألم ترَ الى ربك كيف فعل بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى »[4] .

« والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا ، لقد فُضّلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه ، والمعترّ فآووه ،

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٧١ – ٢٧٢ .
(٢) تاريخ الطبري : ٣/٢٧٢ .
(٣) تاريخ الطبري : ٤/٢٨٤ .
(٤) تاريخ الطبري : ٣/٢٧٣ .

والباغي فناوئوه »[1] .

« والشاة وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها ، والشاة السوداء واللبن الابيض ، انه لعجب محض، وقد حُرّم المذق، فمالكم لا تمجّعون »[2] .

« سمع الله لمن سمع ، وأطمعه بالخير اذ طمع ، ولا زال أمره في كل ما سر نفسه يجتمع . رآكم ربكم فحياكم ، ومن وحشة خلّاكم ، ويوم دينه أنجاكم . فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربكم الكبار ، رب الغيوم والامطار »[3] .

هذه النصوص المارة الذكر ، هل خدعت العرب، وانطلت عليهم ، فظنوها وحياً واعجازاً ؟ . وهل كان الفرد العادي منهم – ولا نقول : بليغهم أو نابغتهم – عاجزاً عن الاتيان بمثل هذا الفضول من القول ؟ أو يرضى بأن ينسب له هذا اللون من الهذيان ؟ ، وهل تردّى الذوق العربي – وقد كان في قمة البلاغة اذ خاطبه الله تعالى بمعجزة البيان البليغ –

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٨٤ .
(٢) تاريخ الطبري : ٣/٢٨٤ .
(٣) تاريخ الطبري : ٣/٢٧٢ .

حتى استقرّ في مثل هذا الحضيض ؟ وهل فقدت هذه الامـة فهمها ومعرفتها وقوة تمييزها حتى أصبح لديها هذا الهراء مثال البلاغة المتناهية التي تحمل العربي على رفض دينه السابق اقرارا باعجاز هذا الكلام الساقط المرذول ؟ .

ثم ، لو غضضنا النظر عن جانب الاعجاز في بلاغة القرآن وروعة ألفاظه وفصاحة بيانه ، فهل وجدت هذه الامـة في الافكار التي عبر عنها طليحة ومسيلمة وسجاح ما يثير اعجابها ويدفعها على اتباع أصحابها وتبديل دينها ؟ وهل جملة طليحة عن «صنع رحى ذات عرا ، يرمي الله بها من رمى ، مثلاً» قد اشتملت على فكرة تعجب السامع العربي فتشده الى هذا المفكر البعيد الغور ؟!!

وهل أمرُ سجاح لهم بأن يدفوا « دفيف الحمامة ، فانها غزوة صرامة »، مثلا ، قد حمل للعرب معنى جديداً من معاني الحث على الحرب والتحريض على القتال ، فتكون النتيجة أن يبادر الآلاف الى الايمان بهذه السيدة ، والالتفاف حولها حتى الموت ؟!! .

وهل وصْف مسيلمة للضفدعة بأن أعلاها في الماء وأسفلها في الطين يعبر عن مطلب علمي دقيق أو جـــانب مجهول من

جوانب الخلق والابداع في هذا الحيوان الصغير ؟!!

اننا لن نجد في كل نصوص هؤلاء الادعيـاء الاغبياء الا ما ينطلق من وحي السخف والجهل والهراء ، وذلـك هو مرآة تعكس طاقاتهم الذهنية والفكرية فتبرزها على واقعها الحقيقي الصادق .

فكيف يصح من هذه الامة العريقة ، المجيدة، الواعية، أن تترك كل أفكار القرآن وكل أفكار محمد وكل ما تعلمته من أفكار الاسلام وتنساق طواعية وراء هـذه السخافات والتُرهات والتعـابير الحمقاء ؟!! .

وهل يستطيع أحد أن يعتبر هذه الامة أمـــة ادراك وحضارة اذا كانت قـد استبدلت ذاك الفكر المشرق العظيم بهذا اللغو المقزز السخيف ؟!

* * *

واذا كنا لا نستطيع المقارنة بين بلاغة القرآن وكلام هؤلاء وبين أفكار الاسلام وأفكار هؤلاء، فهل هناك مجال للمقارنة — واستغفر الله والضمير من هـــذا التعبير — بين شخصية محمد (ص) — ولنفرض محمداً قبل أن يبعث نبيـــاً — وبين تلك

الشخصيات المهزوزة التي نسب اليها الطبري دور قيادة الامة في ردتها ؟!! .

هل محمد (ص) في خلقه وسلوكه وعقله وحسن تصرفه وسائر خصاله وملكاته وشمائله، كطليحة مثلا... كمسيلمة... وهل يمكن للعربي – وهو الذكي بالفطرة – أن يكون أبلهاً الى هذه الدرجة فيقارن بين ذاك وهذين ثم يفضل – وهذا هو الأنكى – زعانف الناس على محمد ؟!!

ولو صحت أنباء الردة وأخبارها فأين كان عنها زعماء الشعوبية وقادتها، ولِمَ فاتتهم هذه الفرصة ولم يستغلوها طعنا وتجريحا في عقلية هذه الامة، وفي ركضها وراء الترهات والاباطيل ؟ .

ان هذه الاسئلة تعصف في ذهني الى حد التمرد على كل هذه المدعيات التي سجلها المؤرخون – وفي طليعتهم الطبري – عن هذه الامة المبتلاة بأبنائها في تشويه صفحتها البيضاء .

★ ★ ★

ومع ذلك كله فلعل هناك من سيتطوع للدفاع عن تلك الصفحات المظلمة الملصقة بتاريخ هذه الامة، لاثبات

صحتها، ثم تبرير تلك الصحة، مدفوعاً بضرورة التصديق بروايات الرواة وأحاديث المحدثين .

ومن هنا كان لا بد لي في هذه المسيرة المتأنية أن أحصي مصادر هذه الروايات في تاريخ الطبري، فأستخرج منه أسماء الكتب التي رجع اليها، وأهم الرواة الذين أخذ عنهم ثم اترجم لكل واحد من هؤلاء المؤلفين والمحدثين، لتحديد درجة الوثاقة والصدق والاطمئنان في مروياتهم وأحاديثهم، عسى أن يدلنا ذلك كله على الطريق الصحيح الذي يجب أن نسلكه ونحن نحاول اعادة كتابة التاريخ ونقد نصوصه .

ونستطيع أن نلخص هذه المصادر والموارد التي استقى منها الطبري رواياته في الردة على الوجه الآتي :

١ – كتاب « الفتوح الكبير والردة »[١] : لسيف بن عمر التميمي . وهو المصدر الرئيسي والمهم والاساس في جل ما رواه الطبري بشأن الردة وما يرتبط بها، وله في روايته عن سيف طريقان :

---

(١) لم يسم الطبري كتاب سيف، والظاهر انه هذا الكتاب نفسه، وقد ذكره ابن النديم في الفهرست : ١٣٧ – طبعة القاهرة ١٣٤٨ هـ .

أ – عن عبد الله بن سعد الزهري ، عن عمه يعقوب بن ابراهيم الزهري، عن سيف ، والطبري : ٣/٢٢٥ وما بعدها».

ب – عن السري بن يحيى ، عن شعيب بن ابراهيم[1] ، عن سيف ، « الطبري : ٣/٢٢٥ وما بعدها » . ورواياته عن السري بعضها من طريق المشافهة«٣/٢٢٥و ٢٢٧ وما بعدهما»، وبعضها من طريق المكاتبة « ٣/٢٧٦ و ٢٧٧ وما بعدهما » .

٢ – كتـاب الردة[2] : تأليف أبي مخنف لوط بن يحيى الازدي . والظاهر ان الطبري لم يقف على كتاب ابي مخنف هـذا ، وانما يرويه عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي[3] ، وحيث ان الطبري قد ولد بعد وفاة هشام فلا بد ان روايتـه عن هشام ليست سماعية وانما نقلا عن كتـــابه في « مسيلمة الكذاب »[4] .

---

(١) يقول ابن حجر في لسان الميزان : ٣/١٤٥ « شعيب .... راوية كتب سيف عنه : فيه جهالة . ذكره ابن عدي وقال : ليس بالمعروف ، وله احاديث واخبار ، وفيه بعض النكرة ، وفيها ما فيه تحامل على السلف » .

(٢) الفهرست : ١٣٦ ، وليس لابي مخنف كتـــاب غيره في هذا الموضوع .

(٣) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٦٧ .

(٤) الفهرست : ١٤٢ .

وقد روى الطبري عن هشام من دون ذكر أبي مخنف في ٣/٢٧٤ و ٢٨٠ و ٣٣٧ .

وما اخرجه الطبري عن هذا الكتاب قليل .

٣ – سند هذا نصه :

« عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابي عبـــد الله محمد بن اسحاق صاحب السيرة »[1] .

٤ – سند هذا نصه :

« عن أبي زيد (عمر بن شبة) عن أبي الحسن المدائني (علي بن محمد) عن أبي معشر (نجيح المدني) ويزيد بن عياض ابن جعدبة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي عبيدة وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء»[2] .

* * *

---

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٥ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩١ و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣١٣ و ٣٣٩ .

(٢) تاريخ الطبري : ٣/٣١٣ .

٢

استقى الطبري معلوماته عن « الردة » وأحداثها – كما اسلفنا – من أربعة موارد. وان المنهج العلمي في كتابة التاريخ ونقد نصوصه يفرض علينا أن نقف عند هذه الموارد وقفة الفاحص المتأمل ، لنستجلي واقع الثقة أو عدمها في هذه النصوص ، ونعلن – من ثم – موقفنا الموضوعي المحدد من رفض هذه الروايات او قبولها .

١ – روايات سيف بن عمر :

وهي الروايات التي أودعها سيف كتابه « الفتوح الكبير والردة » . وتشكل هذه الروايات المصدر الرئيسي والمهم والاساس في جل ما سجله الطبري عن الردة وما يتعلق بها .

ومن حق البحث ان نقف – هنا – فنتساءل عن سيف هذا : من هو ؟ وما هي قيمة رواياته في الميزان العلمي ؟

ومن هم اولئك الذين حدث عنهم هذا الرجل ؟

انه سيف بن عمر ، التميمي ، البرجمي ، ويقال : السعدي ، ويقال : الضبعي ، ويقال : الاسدي ، الكوفي ، المتوفي سنة ١٨٠ هـ .

قال عنه ابن معين : ضعيف الحديث .

وقال ابو حاتم : متروك الحديث .

وقال ابو داود : ليس بشيء .

وقال النسائي والدارقطني : ضعيف .

وقال ابن عدي : بعض احاديثه مشهورة ، وعامتها منكرة لم يتابع عليها .

وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الاثبات ، وانه كان يضع الحديث وانه اتهم بالزندقة .

وقال البرقاني عن الدارقطني : متروك .

وقال الحاكم : اتهم بالزندقة ، وهو في الرواية ساقط .

وقال ابن أبي حاتم : متروك الحديث .

وعلق ابن حجر العسقلاني على خبر رواه سيف :

« سيف متروك ، فبطل الحديث ، وانما ذكرناه للمعرفة » .

وقال بروكلمان: «كان سيف.. يحرف الاحاديث والاحداث، يعظم بعضا ويحقر بعضا، ولكنه كان يحسن الوصف والبيان، فاغتر الطبري بذلك واختار كتبه مصدراً اصيلاً في تاريخه»[1].

وهكذا يتضح من استعراض هــذه النصوص ان المصدر الاول والرئيسي في اخبار الردة مكتوب بقلم انسان وصفه العلماء والمؤرخون : انه «ضعيف الحديث»، «متروك الحديث» «ليس بشيء»، «يروي الموضوعات عن الأثبات»، «يضع الحديث»، «في الرواية ساقط»، وأخيراً «متهم بالزندقة»، ولا بد انها الزندقة بمعناها الواقعي الدقيق، وليست الزندقة التي كان يبرقع بها الحكـــام خصومهم، فقد كان سيف من السائرين في خط الحكم القـــائم يومذاك ولم يكن من مبرر لاتهامه ـ كذبا ـ بالزندقة كما كان يتهم المعارضون .

ولزيادة التعريف بهذا الرجل نشير الى ان سيفا، على الرغم من حذاقته في صناعة الوضع والتلفيق، لم يستطع تسجيل الاسماء الكاملة لجملة من المشايخ الذين أنهى سنده اليهم، ففـــاته في

(١) يراجع في النقول السابقة : الاستيعاب : ٣/٢٥٢ والاصابة : ٣/٢٣٠ و ٤/٣٨٦ وتهذيب التهذيب : ٤/٢٩٥ - ٢٩٦ وتاريخ الادب العربي ـ الترجمة العربية ـ : ٣/٣٦ .

خلال ذلك ما أظهره على حقيقته الناصعة، راوياً عن المجاهيل، ومعتمداً على المراسيل .

ان سيفا يروي خبره في بعض الاحيان :

عن عمارة بن فلان !! الاسدي[1] .

عمن شهد بزاخة من الانصار ـ بلا تسمية ! ـ[2] .

عن رجال ـ بلا اسم ! ـ[3] .

عمن حدثه !! عن جابر بن فلان ![4] .

عن رجل من بني سحيم ![5] .

عن عطاء بن فلان !! المخزومي، عن ابيه ![6] .

مضافا الى ما كان يرسله احيانا بلا سند مطلقا[7] .

* * *

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٦ .
(٢) تاريخ الطبري : ٣/٢٦١ .
(٣) تاريخ الطبري : ٣/٢٨١ .
(٤) تاريخ الطبري : ٣/٢٨٢ .
(٥) تاريخ الطبري : ٣/٢٩٣ .
(٦) تاريخ الطبري : ٣/٣٣٠ .
(٧) تاريخ الطبري : ٣/٣٠١ و ٣٢٣ .

نصل من كل ما سلف الى نتيجة خلاصتها : ان انسانا له مثل هذه الصفات والنعوت، ومثل هؤلاء الرواة الاسانيد ، لا يصح الاعتماد عليه في اثبات قضية خطيرة كهذه القضية التي لم يكتب لها في تاريخ الاسلام مثيل ، ولم ينكب تاريخ المسلمين بمثلها على مدى عمره الطويل[1]. وان اشتهاره بالكذب والوضع بلغ حدا اغنانا عن اللجوء الى التدقيق في اسانيده واستعراض مشايخه لنرى قيمتها وشأنها في مقام التوثيق والتعديل ، خصوصاً وان هؤلاء الذين طعنوا بسيف، وتركوا حديثه، كانوا على علم تام بأولئك المشايخ وتلك الاسانيد .

ولكنني ـ استيفاء لحق البحث وتأكيدا لاطمئنان القارىء ـ سأستعرض باستعجال مقتضب بعض تلك الاسماء التي حاول سيف ان «يتعكز» عليها لتمرير اكاذيبه، وتغليف موضوعاته، واظهارها امام المسلمين بالمظهر الذي اصطلح عليه اهل الحديث من تسجيل اسماء الرواة وتثبيت سلسلة السند ، على الرغم من

---

(١) أما التفريق بين سيف المحدث وانــه « لم يكن من رواة الحديث المعتمدين » وسيف المؤرخ وانه « عمدة في التاريخ » ـ كما ذكر السيد احمد راتب في مقدمة كتاب الفتنة ص ٢٧ ـ فلم نفهم له وجها او معنى ، فان كان محلا للاعتماد والثقة فهو عمدة في الحديث والتاريخ ، وان كان مرفوضا ففي كليهما مرفوض .

انه كان معروفاً ـ كما اسلفنا برواية الموضوعات عن الاثبات ، أي وضع الاخبــار وزعم روايتها عن المشهورين بالوثاقة والتثبت ، ولكنه نزولا عند حكم الضرورة كان يلتجيء ـ في كثير من الاحيـان ـ الى الرواية عن اسماء معينة لا يكون فيها من لم يدرج مع الضعفاء والمهزوزين والمجهولين والمعروفين بالكذب والتلفيق .

وكان من جملة اولئك :

أ ـ هشام بن عروة بن الزبير :

أنـكِر عليه ما يرويه لانه أرسل عن أبيه ما كان يسمعه من غير أبيه . وقال ابن خراش : كان مالك لا يرضاه[1] .

ب ـ سهل بن يوسف بن سهل :

«مجهول الحال. قال ابن عبد البر: لا يُعْرَف ولا ابوه»[2].

ج ـ عكرمة مولى عبد الله بن عباس :

كان مضرب المثــل في الكذب ، حتى روي ان ابن عمر وسعيدا بن المسيب كانا يتوعــدان غلاميهما ويقول كل منهما

---

(١) تهذيب التهذيب : ١١/٥٠ .
(٢) لسان الميزان : ٣/١٢٢ .

لغلامـــه لا تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس .

وبلغ الامر بعلي بن عبد الله بن عباس انه قيد عكرمة على باب الحش لانه يكذب على ابيه ، وكان مالك لا يراه ثقـــة ويأمر أن لا يؤخذ عنـــه ، ووصفه أيوب بقلة العقل[1] .

د - الضحاك بن فيروز الديلمي :

« قال البخاري : الضحاك بن فيروز عن ابيـه وعنه ابن وهب ، لا يعرف سماع بعضهم من بعض . وقال ابن القطان : مجهول »[2] .

هـ - المجالد بن سعيد :

ضعّفه ورفض الروايـة عنه ، كل من يحيى بن سعيد وابن مهدي وأحمد بن حنبل وابن المديني وابن معين وابن أبي حاتم ، و « قـــال عمر بن علي : سمعت يحيى بن سعيد يقول لبعض اصحابه : اين تذهب؟ قال : الى وهب بن جرير أكتب السيرة عن أبيه عن مجالد ، قال : تكتب كذباً كثيراً » ، ويقول

---

(١) معجم الادباء : ١٢/١٨٤ - ١٩٠ ،وطبقات ابن سعد : ٥/٢١٤ وتهذيب التهذيب : ٤/٤٤٨ .
(٢) تهذيب التهذتب : ٤/٤٤٨ .

ابن معين : «ضعيف واهي الحديث » « لا يحتج بحديثه »[1].

و - عبيد بن صخر بن لوذان الانصاري :

« ذكره البغوي وغيره في الصحابة ، وقال ابن السكن : قال له صحبة ، ولم يصح اسناد حديثه »[2].

ز - الضحاك بن خليفة :

« له ذكر ، وليست له رواية ... قال ابن سعد : كان مغموصاً عليه »، ولحسان بن ثابت شعر في هجاء الضحاك»[3] .

ح - زيد بن اسلم :

ذو مراسيل كثيرة ، فقد روى عن جـــابر وابي هريرة وسعد وابي أمامه وابي سعيد ومحمود بن لبيد ولم يسمع منهم وكان يفسر القرآن برأيه ، و « كان في حفظه شيء » و « كان يدلّس »[4] .

ط - حرام بن عثمان :

قال فيه الشافعي ويحيى بن معين وغيرهما : الراويـة عن

---

(١) تهذيب التهذيب : ١٠/٤٠ .
(٢) الاصابة : ٢/٤٣٧ .
(٣) الاصابة : ٢/١٩٧ .
(٤) تهذيب التهذيب : ٢/٣٩٥ - ٣٩٧ .

حرام حرام ، وقال أحمد : ترك الناس حديثه ، وقال مالك ويحيى : ليس بثقة[1] .

ي – الحجاج بن ارطاة النخعي :

كان صاحب ارسال ، وكان يدلّس ، ويزيد في الاحاديث التي يرويها ، يكاد ليس له حديث الا فيه زيادة ، قال فيه يعقوب بن شيبة : واهي الحديث ، في حديثه اضطراب كثير ، وقال ابن عيينة: كنا عند المنصور بن المعتمر فذكروا حديثا، فقال من حدثكم ؟ قالوا الحجاج بن ارطاة ، قال : والحجاج يُكتب عنه ؟ قالوا : نعم ، قال : لو سكتم لكان خيراً لكم . و « كان ضعيفا في الحديث » ، « ليس بالقوي » ، « لا يحتج به » ، « مضطرب الحديث » ، وتركه ابن المبارك وابن مهدي ويحيى القطان ويحيى بن معين واحمد بن حنبل[2] .

ك – عمرو بن شعيب القريشي :

واهي الحديث ، « عند الناس فيه شيء » و « له اشياء مناكير » و « ليس بذاك » ، وقال الآجري : قلت لأبي

---

(١) لسان الميزان : ١٨٢/٢ .
(٢) تهذيب التهذيب : ١٩٦/٢ – ١٩٨ .

داود : عمرو بن شعيب عندك حجة ؟ قال لا ولا نصف حجة »[1] .

ل – مبشر بن فضل (فضيل) :

« شيخ لسيف لا يدري من هو ... وذكره العقيلي في الضعفاء فقال : كوفي مجهول النقل لا يصح اسناده »[2] .

م – الضحاك بن يربوع :

« قال الأزدي : حديثه ليس بالقائم »[3] .

ن – عطاء الخراساني :

روي عن الصحابة مرسلا ، وذكره البخاري في الضعفاء. فقال ابن حبان : كان رديء الحفظ ، يخطيء ولا يعلم ، فبطل الاحتجاج به »[4] .

●

وهكذا يتضح من مجموع ما سلف ان سيفا بشخصه، وسيفاً

---

(١) تهذيب التهذيب : ٤٩/٨ – ٥٤ .
(٢) لسان الميزان : ١٣/٥ .
(٣) لسان الميزان : ٢٠١/٣ .
(٤) تهذيب التهذيب : ٢١٢/٧ – ٢١٥ .

باسانيده ، وسيفا بمضمون اخباره ، متروك اشد الترك ، لا تقبل الرواية عنه ،ولا يصح الاعتماد عليه .وتصبح كل احاديثه التي حشدها الطبري في فصل الردة من تاريخه صفرا خاويا على اليسار ، لانها لا تمنح الاطمئنان ،ولا تبعث على الثقة ،ولا تحمل في طياتها اية امارة من امارات الصدق والقبول .

•

٢ ـ سند هذا نصه :

« قال هشام : قال أبو مخنف » أو « قـــال هشام » من دون ذكر أبي مخنف .

والمقصود بأبي مخنف : الراوية المعروف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف ، الأزدي ، المتوفي قبل السبعين ومائه[١] . وقد عني هذا الرجل بحوادث تلك الفترة الدامية من تاريخ الاسلام ، وأودع ما تجمع لديه من اخبارها في كتاب سماه « الردة »[٢] ، وهو الكتاب الذي يروي هشام عنه ما يسنده الى ابي مخنف .

---

(١) لسان الميزان : ٤/٤٩٣ .
(٢) الفهرست : ١٣٦ ورجال النجاشي : ٢٢٤ .

والمعني بهشام: النسابة المعروف هشام بن محمد بن السائب، الكلبي ، المتوفي سنة ٢٠٤ هـ[١] ، وكان من المهتمين بتاريخ هذه الفترة أيضاً ، وألف فيها كتابين : « كتاب الردة »[٢] و « أخبار مسيلمة الكذاب »[٣] .

وحيث ان الطبري قد ولد بعد وفاة هشام ، فان نقوله بأجمعها انما هي مستخرجة من كتابيه المذكورين ،وليست سماعاً من لسانه أو قراءة عليه .

ولدى استقراء اخبار الردة عند الطبري وجدنا انه قد روى عن ابي مخنف ستة نصوص فقط لا غيرها !! ، وكانت هذه النصوص الستة خالية من كل ما يدل على ردة أو يُشعر بخروج عن الاسلام أبداً .

وما دام الرجل غير مشارك برواية اخبار الردة وقصصها فلن يهمنا ـ هنا ـ أن نبحث عن مقام أبي مخنف لدى علماء الرجال توثيقا له أو تضعيفا ، لان ذلك تطويل بلا طائل .

---

(١) لسان الميزان : ٦/١٩٦ ـ ١٩٧ .
(٢) رجال النجاشي : ٣٠٥ .
(٣) الفهرست : ١٤٢ ومعجم الادباء : ١٩/٢٩١ وسمي في رجال النجاشي : ٣٠٥ « كتاب بني حنيفة » .

ونورد – في أدناه – نصوص أبي مخنف بألفاظها ليتلمّس القارىء معي هذه الحقيقة،ويكون على علم كامل بجلية الامر :

النص الاول :

«قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني سعد بن مجاهد، عن المُحِل بن خليفة ، عن عدي بن حاتم قال : بعثتُ الى خالد بن الوليد أنْ سرْ إليّ فأقم عندي أياماً حتى أبعث الى قبائل طيء ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ، ثم أصحبك الى عدوك . قال : فسار اليّ»[1] .

النص الثاني :

« قال هشام : قال أبو مخنف : حدثنا عبد السلام بن سويد أن بعض الانصار حدثه أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعكاشة ، قال لهم : هل لكم الى أن اميل بكم الى حي من احياء العرب ، كثير عددهم ، شديدة شوكتهم ، لم يرتد منهم عن الاسلام أحد ؟ فقال له الناس : ومَنْ هذا الحي الذي تعني ؟ فنعم والله الحي هو ، قال لهم : طيء ، فقالوا : وفقك الله ، نعم الرأي رأيت ،

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٤ .

فانصرف بهم حتى نزل بالجيش في طيء »[1] .

النص الثالث :

« قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني اسحاق انه (أي خالد) نزل بأجأ ، ثم تعبّى لحربه ، ثم سار حتى التقيا على بُزاخة ، وبنو عامر على سادتهم وقادتهم قريباً يستمعون ويتربصون على من تكون الدبّرة »[2] .

النص الرابع :

« قال هشام : قال ابو مخنف : حدثني اسحاق انه سمع أشياخا من قومه يقولون : سألنا خالدا أن نكفيه قيسا فان بني أسد حلفاؤنا ، فقال : والله ما قيس بأوهن الشوكتين ، اصمدوا الى أي القبيلتين أحببتم ، فقال عدي : لو ترك هذا الدين أسرتي الادنى فالادنى من قومي لجاهدتهم عليه ، فأنا أمتنعُ عن جهاد بني أسد لحلفهم،لا لعمر الله لا أفعل، فقال له خالد : ان جهاد الفريقين جميعا جهاد ، لا تخالف رأي أصحابك، امض الى أحد الفريقين ، وامض بهم الى القوم الذين الا...

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٥ .
(٢) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٥ .

هم لقتالهم انشط »[1] .

النص الخامس :

« قال هشام : عن أبي مخنف فحدثني عبد السلام بن سويد ، ان خيل طيء كانت تلقى خيل بني أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامون ولا يقتتلون ، فتقول أسد وفزارة : لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبداً ، فتقول لهم خيل طيء : أشهد ليقاتلنكم حتى تكنوه أبا الفحل الاكبر »[2] .

النص السادس :

« عن هشام ، عن ابي مخنف ، عن عبد الرحمن بن قيس السلمي (والحديث يتعلق بأبي شجرة) .. فأناخ ناقته بصعيد بني قريظة قال : ثم أتى عمر وهو يعطي المساكين من الصدقة ويقسمها بين فقراء العرب فقال : يا أمير المؤمنين ، أعطني فاني ذو حاجة ، قال : ومن أنت ؟ قال : أبو شجرة ابن عبد العزى السلمي ، قال : أبو شجرة ! أي عدو الله ! ألست الذي تقول :

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٥ .
(٢) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٥ .

فرويتُ رمحي من كتيبة خالد واني لأرجو بعدها أن أعمّرا

قال : ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدْوا ، فرجع الى ناقته فارتحلها ، ثم أسندها في حرّة شوران، راجعا الى ارض بني سليم ، فقال :

ضنّ علينا أبو حفص بنائله ... »[1] الى آخر الابيات .

ولدى التحقيق في هذه النصوص نجد ما يلي :

ان « النص الاول » يتعلق بعدي بن حاتم ومحاولاته في انقاذ عشيرته وبني قومه من بطش الجيش القادم اليهم ، ولعله كان يأمل من وراء اقامة خالد أياما عنده أن تهدأ الثائرة وتحقن الدماء . وليس في النص خلا ما ذكرناه اي اشارة الى كفر وارتداد .

ولعل « النص الثاني » يزيد المسألة وضوحا ، حيث جاء فيه اعتراف خالد بان الطائيين « لم يرتد منهم عن الاسلام أحد » . وهذا الاعتراف دليل آخر على كذب سيف بن عمر وتلفيقه فيما كان يحاول تأكيده من ارتداد طيء وخروجها على الاسلام ، حيث زعم في بعض رواياته انه « اجتمع على طليحة

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٦٧ .

غوام طيء ....»[1] ، وزعم مرة أخرى أنه « اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة ... »[2] .

واختص « النص الثالث » بالحديث عن استعداد الطرفين للحـــرب .

وأكد «النص الرابع»، في عمومه، ما سبق لنا ذكره من اهتمام عدي بتهدئة الموقف وايقاف الزحف العسكري المتمثل بخالد وجيشه .

وقد تضمن هـــذا النص فقرات لم يتضح لنا المقصود منها بالشكل الدقيق، اذ أنّه في الوقت الذي نرى عديا خلاله مؤكدا استعداده للتضحية والفداء لو خرج على هذا الدين خـــارج ولو حرف امتناع كما نعلم ـ ، فاننا نرى خـالدا يأمر عديا بأن لا يخالف رأي أصحابه . فما هو المقصود بذلك ؟ ومـا هي المخالفة التي ينكرها خالد ؟ وهل هناك فيما وراء السطور ما حاول الرواة عدم توضيحه ؟

وجاء « النص الخامس » ليضع ايدينا على النقطة الحساسة

---

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٤٢ .
(٢) تاريخ الطبري : ٣/٢٤٤ .

من المشكلة ، وهي الصراحة بأن المسألة لم تكن مسألة ارتداد وكفر ، وانما هي مسألة موالاة وبيعـة ، وان أسداً وفزارة يصرون قائلين : « لا والله ، لا نبـايع أبا الفصيل أبداً » .

أما « النص السادس » فيتعلق بالشاعر أبي شجرة ، وليس في شعره الذي أورده الطبري نقلاً عن أبي مخنف مـــا يشعر بمروق عن الدين او ارتداد عن الاسلام .

واذن ، فلماذا اقحمت هذه النصوص في مجموعة أخبار « الردة » ؟ وهل كان غرض الطبري من ذلـك اضفاء بعض الوثاقة على روايات سيف وأضرابه واظهارهـا بمظهر التسليم والاجماع ؟ .

●

أما هشام بن محمد الكلبي فقد نقل عنه الطبري اربعـــة نصوص خلال أخبار الردة ، نسوقها بألفاظها في أدناه :

النص الاول :

« وأما هشام بن الكلبي فانه زعم أن أبا بكر ، لما رجع اليه أسامة ومن كان معه من الجيش ، جدّ في حرب أهل الردة ، وخرج بالنـــاس وهو فيهم حتى نزل بذي القصّة ، منزلا من المدينة على بريد من نحو نجد ، فعبأ هنالك جنوده ،

ثم بعث خالد بن الوليد على الناس ، وجعل ثابت بن قيس على الانصار ، وأمّره الى خالد ان يصمد لطليحة وعيينة بن حصن ، وهما على بزاخة ماء من مياه بني أسد ؛ وأظهر أني ألاقيك بمن معي من نحو خيبر ، مكيدة ، وقد أرعب مع خالد الناس ، ولكنه أراد أن يبلغ ذلك عدوه فيرعبهم ، ثم رجع الى المدينة ، وسار خالد بن الوليد ، حتى اذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن ، وثابت بن اقرم – أحد بني العجلان حليفا للانصار – طليعة ، حتى اذا دنوا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة ، ينظران ويسألان ، فأما سلمة فلم يمهل ثابتا أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين رأى أنه قد فرغ من صاحبه أن أعنّي على الرجل فانه آكلي ، فاعتونا عليه ، فقتلاه ثم رجعا ، وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلا ، فلم يفطنوا له حتى وطئته المطي بأخفافها ، فكبُر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فاذا هم بعكاشة بن محصن صريعا ، فجزع لذلك المسلمون وقالوا : قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم ، فانصرف خالد نحو طيء »[1] .

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٤ .

النص الثاني :

« قال هشام : حدثني جديل بن جناب النبهاني من بني عمرو بن أبي : ان خالدا جاء حتى نزل على أرك ، مدينة سلمى »[1] .

النص الثالث :

« وقال ابن الكلبي : الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الازور »[2] .

النص الرابع :

« وقال هشام بن محمد : قدم عكرمه بن أبي جهل بعدما فرغ المهاجر من أمر القوم مددا له ، فقال زياد والمهاجر لمن معهما : ان اخوانكم قدموا مددا لكم ، وقد سبقتموهم بالفتح فأشركوهم في الغنيمة ، ففعلوا وأشركوا من لحق بهم وتواصوا بذلك ، وبعثوا بالاخماس والاسرى ، وسار البشير فسبقهم وكانوا يبشرون القبائل ويقرأون عليهم الفتح »[3] .

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٥ .
(٢) تاريخ الطبري : ٣/٢٨٠ .
(٣) تاريخ الطبري : ٣/٣٣٧ .

هذه هي النصوص التي اوردها الطبري في مجموعة أخبار الردة مروية عن هشام بن محمد الكلبي ، وليس من نص غيرها عن ابن الكلبي . وواضح – بعد قراءتها بامعان – ان الثلاثة الاخيرة منها لم تتعرض – بقليل او كثير – لمسألة الردة والخروج من الاسلام ، « فالنص الثاني » يحدد مكان نزول خالد بن الوليد ، و « النص الثالث » يسمي قاتل مالك بن نويرة ، و « النص الرابع » يتحدث عن المدد القادم لمعونة الجيش المحارب .

ولم يبق مما يرتبط بالردة الا « النص الاول » الذي وردت فيه جملة «جد في حرب أهل الردة » ، وليس في التعبير ما يدل على التفات الراوي وقصده لمعنى الردة الشرعي ، بل الظاهر ان هشاما قد استعمل – بذلك – التعبير الاصطلاحي المتعارف الذي كانت تسمي الدولة به هذه الوقائع ، حيث يكون المقصود من الجملة ان الخليفة أبا بكر قد جد في حرب من اعتبرهم أهل الردة ، وليس في هذه العبارة ما يرشد الى اعتراف الراوي بـ « الردة » وكونها ردة بالمعنى الاسلامي الشرعي[1] .

●

(١) لعل مما يسترعي الانتباه عند التأمل في نصوص هشام انها لم =

... ـ سند هذا نصه :

« عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن أبي عبد الله محمد بن اسحاق صاحب السيرة »[1] .

فمن هم هؤلاء ؟ وما مدى ما يتمتعون به من سمة الوثاقة وصفة الصدق ؟

١ ـ محمد بن حميد بن حيان ، التميمي الرازي ، المتوفى سنة ٢٤٨ هـ .

قال يعقوب بن شيبة : محمد بن حميد كثير المناكير .

وقال البخاري : في حديثه نظر .

وقال النسائي : ليس بثقة .

وقال الجوزجاني : رديء المذهب غير ثقة .

تنسب لطليحة جريمة ادعاء النبوة ، خلافا لروايات سيف التي حاولت ان تضخم هذا الانسان الخارج على الدولة فتجعل منه متنبئاً خطيرا كثير الاتباع ، وتورد له بعض الفقر المسجوعة التي كان يزعم انها قرآنه ووحي ربه اليه . كما تدعي تلك الروايات .

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٥ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٥ و٢٦٦ و ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و٢٩١ و٢٩٥ و٢٩٧ و٣٠٠ و ٣١٣ و٣٣٩ .

وقال صالح بن محمد الاسدي : كان كلما بلغه عن سفيان يحيله على مهران، وما بلغه عن منصور يحيله على عمرو بن أبي قيس ، ثم قال : كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه. وقال في موضع آخر : كانت أحاديثه تزيد، وما رأيت أحداً أجرأ على الله منه . كان يأخذ احاديث الناس فيقلب بعضها على بعض. وقال ايضاً: ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين : سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد .

وقال أبو القاسم بن أخي أبي زرعة : سألت أبا زرعة عن محمد بن حميد فأومى باصبعه الى فمه ، فقلت له : كان يكذب ؟ فقال برأسه : نعم ، فقلت له : كان قد شاخ لعله كان يُعمل عليه ،ويدلّس عليه ؟ فقال : لا يا بني كان يتعمد.

وقال أبو نعيم بن عدي : سمعت أبا حاتم الرازي في منزله وعنده ابن خراش وجماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم ، فذكروا ابن حميد،فأجمعوا على انه ضعيف في الحديث جدا، وانه يحدث بما لم يسمعه، وأنه يأخذ أحاديث أهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الرازيين .

وقال ابو حاتم : حضرت محمد بن حميد وعنده عون بن جرير ، فجعل ابن حميد يحدث بحديث عن جرير فيه شعر ،

فقال عون : ليس هذا الشعر من الحديث انما هو من كلام أبي. فتغافل ابن حميد ، ومر فيه .

وقال أبو العباس بن سعيد : سمعت داود بن يحيى يقول : حدثنا عنه ابو حاتم قديما ثم تركه بآخره ، وقال : وسمعت ابن خراش يقول : حدثنا ابن حميد وكان — والله — يكذب.

وقال البيهقي : كان ابن خزيمة لا يروي عنه .

وقال النسائي فيما سأله عنه حمزة الكناني : محمد بن حميد ليس بشيء ، قال : فقلت له : البتة ؟ قال: نعم ، قلت : ما أخرجت له شيئاً ؟ قال : لا ، وقال في موضع آخر : محمد ابن حميد كذاب .

وقال أبو علي النيسابوري : قلت لابن خزيمة : لو حدّث الأستاذ عن محمد بن حميد فان أحمد قد أحسن الثناء عليه ، فقال : انه لم يعرفه ، ولو عرفه كما عرفناه ما اثنى عليه أصلا »[1] .

ب - سلمة بن الفضل ، الأبرش ، الانصاري ، المتوفي بعد سنة ١٩٠ هـ .

---

(١) يراجع في النقول السالفة الذكر : تهذيب التهذيب ٩/١٢٨-١٣١.

قال البخاري : عنده مناكير .

وقال البرذعي عن أبي زرعة : كان أهل الري لا يرغبون فيه لِمعانٍ فيه من سوء رأيه وظلمٍ فيه .

وقال النسائي : ضعيف .

وقال أبو حاتم : في حديثه انكار .

وقال ابن عدي : عنده غرائب وأفراد .

وقال الترمذي : كان اسحاق يتكلم فيه .

وقال ابن عدي عن البخاري : ضعّفه اسحاق .

وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقوى[1] .

ج ـ محمد بن اسحاق بن يسار، صاحب السيرة ، المتوفى سنة ١٥٠ و ١٥١ أو ١٥٢ أو ١٥٣ هـ .

اختلف المؤرخون في أمر وثاقته ، وكان مما قالوا فيه : انه « مطعون عليه ، غير مرضي الطريقة . يحكى أن أمير المدينة رُقي اليه أن محمداً يغازل النساء ، فأمر باحضاره ،

(١) النقول بإجمعها من تهذيب التهذيب ، : /١٥٣ - ١٥٤ .

وكانت له شعرة حسنة فرقق[1] رأسه وضربه أسواطا ، ونهاه عن الجلوس في مؤخرة المسجد ، وكان حسن الوجه .

يروي عن فاطمة بنت المنذر زوجة هشام بن عروة فبلغ هشاما ذلك فأنكره وقال : متى دخل اليها ؟ ومتى سمع منها ؟

ويقال : كان يُعمل له الاشعار ويؤتى بها ويُسأل أن يدخلها في كتابه، في السيرة فيفعل ، فضمن كتابه من الاشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر . وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه . وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه : أهل العلم الاول . واصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونه »[2] .

وقال فيه مالك : دجال من الدجاجلة .

وقال يعقوب بن شيبة : ابن نمير يقول : اذا حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق ، وانما أُتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة .

(١) في الفهرست : «فوقف» ، والتصويب من معجم الادباء : ١٨/٧ .
(٢) يراجع في هذه النقول : الفهرست : ١٣٦ .

وقال ايوب بن اسحاق بن سامري : سألت أحمد فقلت له : يا أبا عبد الله، اذا انفرد ابن اسحاق : بحديث تقبله ؟ قال : لا والله اني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا .

وقال المروزي : قال أحمد بن حنبل : كان ابن اسحاق يدلّس .

وقال حنبل بن اسحاق : سمعت أبا عبد الله يقول : ابن اسحاق ليس بحجة .

وقال الميموني عن ابن معين : ضعيف .

وقال النسائي : ليس بالقوي .

وقال ابن المديني : ثقة لم يضعه عندي الا روايته عن أهل الكتاب . وكذّبه سليمان التيمي ، ويحيى القطان ، و وهيب بن خالد »[1] .

•

هذا هو – باختصار – واقع السند الذي اعتمد عليه

(١) تهذيب التهذيب : ٩/٤١ - ٤٥ .

الطبري في اثبات مجموعة من أخبار الردة وأنبائها ، فهل يجد القارىء في رجاله الثلاثة السالفي الذكر : « الدجال » و « الكذاب » و « الضعيف » ما يوحي بالاطمئنان والثقة وما يبعث على التصديق واليقين .

ولعلنا لو حاولنا المزيد من التأمل والتعمق في رجال السند وما ترجم لهم المؤرخون لأمكننا أن نبرىء ابن اسحاق من مسؤولية اكثر هذه الروايات ، خصوصا وان ابن اسحاق – كما جاء في مصادر ترجمته – لم يكتب كتابا في « الردة » ولم يبحث هذه الفترة الدامية ضمن ما أثر عنه من أخبار السيرة .

ولعل هذه الاكاذيب من اختلاق سلمة بن الفضل وزيادات محمد بن حميد، فان ياقوتا يروي : ان وثيمة بن موسى بن الفرات قد « صنف كتاب اخبار الردة ، ذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسرايا أبي بكر التي سيّرها لقتالهم وما جرى بينهم ومن رجع منهم الى الاسلام ، واخبار خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة وقتله له »[1] .

وهذا الكتاب « فيه مناكير كثيرة » و « احاديث كثيرة

(١) معجم الادباء : ١٩/٢٤٨ .

موضوعة » ، وقد حدث وثيمة عن سلمة بن الفضل بأحاديث موضوعة وله عن مالك حديث منكر[1] .

ولعل هذه « المناكير » و « الاحاديث الموضوعة » التي حدث بها وثيمة عن سلمة هي بنفسها التي رواها الطبري عن محمد بن حميد عن سلمة ، وقد شارك هذا الثالوث الكذاب في وضعها وتنميقها، ثم نسبوها — سترا لها — الى محمد بن اسحاق باعتباره صاحب السيرة المعروف ، عسى ان يكون في هذه النسبة ما يستر الكذب ويبرقع الوضع ويبعث النـــاس على القبول والتصديق .

●

٤ ـ سند هذا نصه :

« وامـا ابو زيد فحدثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره ، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وابي عبيدة ابن محمد بن أبي عبيدة وغسان بن عبد الحميد وجوهرية بن أسماء، باسنادهم عن مشيختهم وغيرهم من علمـــاء اهل الشام واهل العراق : ان الفتوح في اهل الردة كلها ، كانت لخالد بن الوليد

(١) معجم الادباء : ٢٤٨/١٩ ولسان الميزان : ٢١٧/٧ .

وغيره ، في سنة احدى عشرة ، الا أمر ربيعة بن بجير فانه كان في سنة ثلاث عشرة »[1] .

وكان ما في هذا الخبر — ولا حاجة لمناقشة رجـــاله وسنده — ان وقائع ما يسمى بـ« الردة » كانت في سنة احدى عشرة ، وذلـــك ما نعترف ويعترف به كل قارىء للتاريخ ككل واقف على حوادثه واحداثه . وهل في تحديد السنة دلالة على ردة ومروق عن الدين كما زعم الزاعمون ؟! .

* * *

(٢) تاريخ الطبري : ٣١٣/٣ - ٣١٤ .

٣

ولكي يكون هـــذا البحث « النقدي » أكثر وضوحاً وأجلى دلالة في احكامه ونتائجه يجدر بنا ان نقف وقفـة طويلة متمهلة عند كلمتي « مسلم » و «مرتد» لنتعرف بمعناها. ولنكون على علم بالحدود التي وضعهـــا الدين لكل من هذين العنوانين ، وبما يترتب على تلك الحدود من حقوق وواجبات .

وبتعبير آخر : فاننا نريد ان نضع الاجابة الصريحة الكاملة على الاسئلة التالية :

١ – من هو المسلم ؟ وماذا يترتب على اعلان الاسلام ؟ !

٢ – ومن هو المرتد ؟ .

٣ – ومتى يصبح المسلم مرتدا ؟ .

وستكون الاجابة المحددة الوافيـة على هذه الاسئلة هي المفتاح الرئيسي لكشف كثير من مغلقات البحث وغوامضه ،

كما سيكون بامكان القارىء أن يشاركني في عملية المقارنة بين النتائج التي يصل اليها جواب هذه التساؤلات وبين مـا رواه الطبري عما وقع يومذاك من حوادث واحداث ، حيث نلمس سوياً ما بينها من انسجام أو عدمه ، وحيث يصبح موقفنا من نصوص الردة في تاريخ الطبري محـــددا وواضحا وناصع الجوانب وغير متأثر بالعاطفة والضجيج .

●

ان الجواب على السؤال الاول قد حددته النصوص الاسلامية الاساسية بكل دقة ووضوح ، حيث اعتبرت المسلم هو الذي يشهد أن لا اله الا الله وان محمـــداً رسول الله ، وفرضت اول مكسب يحصل عليه اللفظ بالشهادتين هو احترام دمه وماله وحرمة الملتزم بها من قبل جميع المسلمين ، الا في الحـــالات المعينة التي لعلة استثناؤها بالخصوص في النصوص المشار اليها .

ولعـل من المناسب لسياق البحث أن نورد بعضا من تلك النصوص التي تـُعرّف المسلم وتحدد مـــا يترتب على الاسلام من حرمات وحقوق وامتيازات وتستثني الحالات التي يفقد فيها المسلم حرمة ماله ودمه :

أخرج الترمذي بسنده عن النبي – ص – انه قـــال :

«أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، وان يصلوا صلاتنا. فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم واموالهم الا بحقها. لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين»[١].

وأخرج بسنده أيضاً عنه – ص – انه قال «أمرتُ أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله. فاذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابها على الله»[٢].

وأخرج ابو داود بسنده عن النبي – ص – انه قال من جملة حديث: «ثلاث من أصل الايمان: الكف عمن قال لا اله الا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الاسلام بعمل ... الخ.»[٣].

واخرج مسلم بسنده قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير اذا طلع الفجر، وكان يستمع الاذان فان سمع اذاناً أمسك والا أغار»[٤].

(١) سنن الترمذي: ٥/٤.
(٢) سنن الترمذي: ٣/٥ وبمضمونه في المبسوط للطوسي: ٧/٢٨٢.
(٣) سنن ابي داود: ٢/١٧.
(٤) صحيح مسلم: ٢/٤.

وأخرج ايضا بسنده: «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا من المسلمين الى قوم مشركين، وانهم التقوا، فكان رجل من المشركين اذا شاء ان يقصد الى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وان رجلا من المسلمين قصد غفلته – وكنا نُحدَّث انه اسامة بن زيد – فلما رفع عليه السيف قال لا اله الا الله، فقتله. فجاء البشير الى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله، فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع فدعاه فسأله فقال: لم قتلته؟ قال يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلانا وفلانا وسمى له نفراً، واني حملت عليه فلما رأى السيف قال لا اله الا الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقتلته؟ قال: نعم قال: فكيف تصنع بلا إله الا الله اذا جاء يوم القيامة»[١].

وهكذا يبدو جليا ان المتلفظ بالشهادتين مسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وانه لا يجوز سفك دمه ولا استباحة ماله الا في الحالات التي حددتها النصوص، ومنها الارتداد عن الاسلام، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الكليني عن الامام جعفر بن محمد الصادق – ع – حيث قال: كل مسلم بين مسلمين ارتد عن الاسلام وجحد محمدا – ص – نبوته

(١) صحيح مسلم: ١/٦٨.

وكذّبه فان دمه مباح »[1] . وبهذا المضمون عدد كبير من الاحاديث .

●

اما الجواب على السؤال الثاني المتعلق بتحديد معنى الارتداد فهو مورد الاتفاق والاجماع ، حيث يقصد به : « الرجوع الى الكفر بعد الاسلام » .

وكان اللغويون في طليعة من أكد هذا المعنى بصراحة اذ قالوا : الردة : صرف الشيء ورجعه . وارتد عنه : تحول . والردة : الاسم من الارتداد . والردة عن الاسلام : الرجوع عنه . وارتد فلان عن دينه اذا كفر بعد اسلامه[2] .

وبمثل ذلك فسر المفسرون ما ورد في القرآن الكريم من مشتقات هذه اللفظة . ففي تفسير قوله تعالى : (ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا) . قالوا : لو يردونكم أي يرجعونكم ، وفي قوله تعالى : (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) . قالوا : من

(١) وسائل الشيعة : ١٨/٥٤٥ .
(٢) لسان العرب : ٣/١٧٢ - ١٧٣ وتاج العروس : ٨/٩٠ .

يرتد منكم اي يرجع منكم الى الكفر بعد اظهار الايمان . ومثل ذلك قالوا في تفسير سائر الآيات التي وردت فيها هذه المشتقات[1] .

والى نفس المعنى ذهب الفقهاء في تفسير الارتداد[2] .

وكذلك الامر في كتب الحديث ، فقد جاء في شرح الحديث النبوي الذي اخرجه النسائي بسنده عن النبي –ص– اذ قال : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : رجل زنى بعد احصانه فعليه الرجم ، او قتل عمدا فعليه القود ، او ارتد بعد اسلامه فعليه القتل »[3] . قالوا : ان الارتداد المذكور في هذا الحديث يعني رجوع المسلم الى الكفر بعد اسلامه .

ويوضح هذا المعنى ما أخرجه الكليني بسنده عن الامام الباقر محمد بن علي – ع – عندما سُئل عن المرتد قال : « من

(١) يراجع تفسير الطبري ومجمع البيان في تفسير الآيتين ١٠٩ و٢١٧ من سورة البقرة ، والآيتين ١٠٠ و ١٤٩ من سورة آل عمران ، والآية ٥٤ من سورة المائدة ، على سبيل المثال .
(٢) موسوعة الفقه الاسلامي–موسوعة جمال عبد الناصر – : ٤/٢٥٢ .
(٣) سنن النسائي – شرح السيوطي – : ٧/١٠٤ .

رغب عن الاسلام وكفر بما انزل على محمد – ص – بعد اسلامه »[1] .

واذن ، فلا خلاف في ان الارتداد معناه « الرجوع عن الاسلام » ، وعلى ذلك أجمع اللغويون والمفسرون والفقهاء والمحدثون على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم .

وما دمنا في سياق الكلام عن معنى الارتداد فلا بد لنا من الاشارة الى ان هناك معنى خاصا للارتداد ورد في بعض الاحاديث لا يقصد به الكفر وانما يراد به التخلف عن بعض الواجبات الاسلامية الاساسية ، وقد اشار اليه ابن الاثير فقال : « وفي حديث القيامة والحوض : فيقال انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم . أي متخلفين عن بعض الواجبات ، ولم يرد ردة الكفر ، ولهذا قيده بأعقابهم ، لانه لم يرتد أحد من الصحابة بعده ، وانما ارتد قوم من جفاة الاعراب »[2]. وهذا المعنى الذي ذكره ابن الاثير هو المقصود فيما ورد في بعض الاحاديث التي رواها علماء الشيعة عن ائمتهم – ع – من ان الناس قد ارتدوا على اعقابهم بعد النبي – ص – بانكارهم

(١) وسائل الشيعة : ١٨/٥٤٤ .
(٢) النهاية : ٢/٧٦

امامة صاحب الحق الشرعي فيها[1] . أي تخلفوا عن هذا الواجب .



اما السؤال الثالث فقد تضمنت كتب الفقه واحكام الشريعة جوابا مفصلا عليه وضعت فيه النقاط على الحروف – على حد التعبير المعاصر – . وبالنظر الى اهمية هذا الجانب في توضيح بعض غوامض نصوص الردة الواردة في تاريخ الطبري فاننا نسوق هنا آراء المذاهب الاسلامية بخطوطها الفقهية المختلفة في تحديد ما يصبح المسلم بسببه محكوما بالارتداد .

١ – الحنفية :

قالوا : « تتحقق الردة باجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الاسلام، كما تتحقق بانكار ما عُلم من الدين بالضرورة، كانكار فرضية الصلاة أو الصيام أو الزكاة . ولا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره خلاف ولو كان ذلك رواية ضعيفة ، فإذا كان في المسألة وجوه توجب

(١) الاختصاص – المنسوب للشيخ المفيد – : ٦ .

الكفر وواحد يمنعه فعلى المفتي الميل لما يمنعه »[1] .

٢ ـ المالكية :

قالوا : « تكون الردة بأحد امور ثلاثة :

١ ـ اما بصريح القول ، كقوله : اشرك أو أكفر بالله .

٢ ـ او بلفظ يقتضيه ، أو كجحده حكما معلوما من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة وحرمة الزنا ، أو قال بقدم العالم أو ببقائه ، أو شك في ذلك .

٣ ـ واما بفعل يتضمن الارتداد أي يقتضى الكفر ويستلزمه استلزاماً كالقاء مصحف بقذر »[2] .

٣ ـ الشافعية :

« ضربوا أمثلة لما يكون به المسلم مرتدا فقالوا : ان الارتداد قد يقع بالتلفظ بألفاظ الكفر ، وبجحود فرض ، أو استباحة محرم »[3] .

---

(١) موسوعة الفقه الاسلامي : ٢٥٢/٤ .
(٢) و (٣) موسوعة الفقه الاسلامي : ٢٥٣/٤ .

٤ ـ الحنابلة :

قالوا : « من أشرك بالله ، أو جحد ربوبيته أو صفة من صفاته أو بعض كتبه أو رسله ، أو سب الله أو رسوله ، فقد كفر ، وكذلك من جحد وجوب عبادة من الخمس ، أو جحد تحريم الزنا أو الخمر ، أو أنكر حل الحلال كاللحم والخبز ، ونحوه من الاحكام الظاهرة المجمع عليها ممن لا يجهلها »[1] .

٥ ـ الظاهرية :

قالوا : « ان من موجبات الكفر أن يكفر بما بلّغه النبي صلى الله عليه وسلم وصحّ عنه وأجمع عليه المؤمنون ، وقال ابن حزم : ان من لحق بدار الكفر والحرب مختارا محاربا لمن يليه من المسلمين يكون بهذا الفعل مرتدا له أحكام المرتد كلها »[2] .

٦ ـ الشيعة الزيدية :

قالوا : « ان الردة عن الاسلام تكون بأحد أوجه أربعة :

---

(١) موسوعة الفقه الاسلامي : ٢٥٣/٤ .
(٢) موسوعة الفقه الاسلامي : ٢٥٣/٤ .

١ – اما باعتقاد كفر ، نحو أن يعتقد أن الله تعالى ثالث ثلاثة أو أن المسيح أو عزير هو ابن الله ، أو يعتقد كذب النبي صلى الله عليه وسلم في بعض ما جاء به .

٢ – اذا أتى بفعل يدل على كفر فاعله من استخفاف بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم أو بما أمر الله بتعظيمه .

٣ – اظهار لفظ كفر نحو أن يقول : هو يهودي أو نصراني أو كافر بالله وبنبيه مستحل للحرام أو يسب نبياً أو القرآن أو الاسلام .

٤ – ومن الردة عن الاسلام السجود لغير الله تعالى لقصد تعظيم المسجود له ، لا على وجه الاكراه أو السخرية أو الاستهزاء »[١] .

٧ ـ الشيعة الامامية :

قالوا : « ان الكفر بنيّة ، وبقول كفر ، وفعل مكفّر :

فالاول : العزم على الكفر ولو في وقت مترقب ، وفي حكمه التردد فيه .

(١) موسوعة الفقه الاسلامي : ٢٥٣/٤ ـ ٢٥٤ .

والثاني : كنفي الصانع لفظاً ، أو المرسل ، وتكذيب رسول ، وتحليل محرم بالاجماع كالزنا ، وعكسه كالنكاح ، ونفي وجوب مجمع عليه كركعة من الصلوات الخمس ، وعكسه كوجوب صلاة سادسة يومية . والضابط انكار ما علم من الدين ضرورة ، ولا فرق في القول بين وقوعه عناداً ، أو اعتقاداً ، أو استهزاء ، حملا على الظاهر .

والثالث : ما تعمده استهزاء صريحاً بالدين ، أو جحوداً له ، كالقاء مصحف أو بعضه في قاذورة قصدا ، أو سجود لصنم . وفي حكم الصنم ما يقصد به العبادة للمسجود له ، فلو كان مجرد التعظيم مع اعتقاد عدم استحقاقه للعبادة لم يكن كفراً ، بل بدعة قبيحة ، لان الله تعالى لم ينصب السجود تعظيماً لغيره »[١] .

●

وحيث قد اتضح لنا جليا من مجموع ما سلف معنى « الاسلام » وما يترتب عليه من نتائج وآثار ، ومعنى « الارتداد » وما

(١) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية : ٣٣٣/٩ ـ ٣٣٦ .

تتحقق به ردة المسلم من نية أو قول أو فعل، نعود الى صلب موضوعنا الرئيسي فنتساءل :

هل وقع بعد وفاة النبي – ص – ما يصح أن نسميه ارتداداً بالمعنى الذي عنته الآيات المباركة والاحاديث الشريفة؟ وهل ينطبق على ذلك الامر الواقـــع عنوان من العناوين التي ذكرها الفقهاء سببا للارتداد ؟ .

ان الدراسة العميقة الفاحصة لكل نصوص الردة في تاريخ الطبري ترشدنا الى أن الاتهام الذي وجهه رواة الطبري الى جل المسلمين بالارتداد والكفر والرجوع عن الاسلام ناشيء من أحد أمرين :

الامر الاول – متابعة المتنبئين الذين ادعـوا النبوة كذبا وزورا .

الامر الثاني – منع الزكاة وهي فرض رئيسي من فروض الاسلام .

وحيث ان الحكم بالارتداد لن يصح توجيهه الى أحد الا بعد قطع ٍ ويقين ٍ ومزيد تأكيد واستيثاق ، فلا بد لنا من

الوقوف بتمهل وتأمل أمام كل واحد من هذين الامرين ، لنرى جوانب الصحة والخطأ في الاتهـام المشار اليه ، وستكون نصوص الطبري دون غيره هي المرجـــع المعتمد عليه في عملية الفحص والتدقيق والغربلة ، باعتبارها – هي بالذات – موضوع البحث المطروح للنقد والتحليل .

* * *

٤

متابعة المتنبئين

تحاول روايات الطبري أن تؤكد بان أربعة من النـاس قد ادعوا النبوة في تلك الفترة وحصلوا على عدد كبير من الاتباع والمؤيدين ، وهم :

أ ـ الاسود العنسي (ذو الخمار عبهلة بن كعب) .

ب ـ مسيلمة بن حبيب .

ج ـ طليحة بن خويلد الاسدي .

د ـ سجاح بنت الحارث بن سويد .

ولزيادة الايضاح لا بد من ان نقف لحظات أمام كل اسم من هذه الأسماء الاربعة ، مستعرضين بروح نقدية محايدة سائر ما أورد الطبري عنه ونسب له من قصص وحكايات وادوار ومسؤوليات ، ليلمس القـارىء ـ معي ـ بالوجدان والبرهان مدى الصدق او الكذب في هذا الاتهام :

أ ـ الاسود العنسي :

روى الطبري جل اخبـــار الاسود عن سيف بن عمر (١٤٧/٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ ـ روايتـان ـ و١٨٧ و ٢٢٩ ـ ثلاث روايات ـ و٢٣١ و٢٣٦ ـ ثلاث روايات ـ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤٢ و ٢٤٩ و ٣١٨ و ٣٢٤ و ٣٣١) ، وهذا السند ـ كما مر ـ سند الكذب والتلفيق فلا يصح الاعتماد عليه أو الركون اليه .

كما اخرج الطبري ـ خلال حديثه عن العنسي ـ روايـة واحدة اسندها الى ابن حميد (١٤٧/٣) ، وقد سلف منا بيان ضعف هذا الرجل وكونه « ليس بثقة »، و « رديء المذهب»، و « كذابا » ، و « كثير المناكير » .

وهناك روايـة تتعلق بالاسود وردت مرسلة بدون سند (٣٢٨/٣) ، وهي ـ لارسالها ـ فاقدة الشأن والوزن فلا تصلح أساسا لبحث .

وبقيت من مجموع أخبار العنسي رواية اسندها الطبري الى

عمر بن شبة عن علي بن محمد عن أبي معشر ويزيد بن عياض ابن جعدبة وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن اسماء عن مشيختهم (٣/٢٤٠) ، وليس لها أي ارتباط بادعاء النبوة او الارتداد ، بل كل مـا فيها أن خبر مقتل العنسي قد وصل المدينة المنورة في آخر ربيع الاول بعد مخرج أسامة .

وهذه النصوص ـ مع كل ما حملتـه من ضعف ونكران بسبب سندها المشتهر بالكذب ـ فان الوقفـة الفاحصة على مضامينها تزيدها ضعفا ونكرانا واعراضا واهمالا .

ان الطبري يروي ان الأسود قد ادعى النبوة (٣/١٨٦ و ٢٣٠) .

ويروي في مكان آخر انه «كان كاهنا شعباذا» (٣/١٨٥ و ٢٣٦) .

ويروي ثالثا انه قد « خرج باليمن » (٣/١٤٧ و ١٨٥) أو « وثب » (٣/١٨٤) .

ولم يتضح لنا الصحيح من كل ذلك ، لان ادعـاء النبوة شيء ، والكهانة شيء آخر ، والتمرد والخروج شيء غيرهما!.

وان الطبري يروي ان الاسود قد خرج على عهد رسول

الله ـ ص ـ وانه قد «صفا له ملك اليمن» . (٣/١٨٥ و١٨٦) ، وأنه قد قتل قبل وفاة النبي ـ ص ـ بفترة وجيزة (٣/١٨٧) ، وان الخبر بقتله قد أتى النبي من السماء فبشر المسلمين بذلك (٣/٢٣٦) .

ثم يروي بعد ذلك ان « اول حرب كانت في الردة بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرب العنسي» (٣/٢٤٢) ، وأن خبر مقتله قد وصل المدينة في آخر ربيع الأول(٣/٢٤٠).

فأيها الصحيح ؟!

وان الطبري يروي ان الاسود قد غلب «على ما بين صهيد ـ مفازة حضر موت ـ الى عمل الطائف الى البحرين قبل عدن ، وطابقت عليه اليمن .. ودانت له سواحل من السواحل.... ثم صنعاء » والى نجران (٣/١٨٥) .

وان الواقف على خريطة الوطن العربي يعرف مدى سعة هذه الرقعة وأهميتها ، ومدى خطرها على الحجاز وعلى الدعوة الاسلامية المنطلقة من قلب الجزيرة .

ومع ذلك كله فان النبي ـ حسب روايـة الطبري ـ قد « حارب هؤلاء المتنبئين بالرسل » (٣/١٨٧) لا بالجيش .

ثم مع ذلك كله ايضا فان النبي قد هيـأ جيشه لغزو

الروم — بقيادة أسامة بن زيد—على بعد الدار ونأي المسافة. ولو صحت هذه الروايات فان خطر الاسود واتباعه المنتشرين في هذه المساحة الشاسعة من الارض وفي هذه الرقعة الملتفة كالطوق على الحجاز أهم بكثير والى أبعد حدود الاهمية من خطر الروم البعيد .

وهكذا يبدو ان روايات الطبري المتعلقة بأخبار الاسود العنسي مرفوضة سندا ومتناقضة دلالة . وماذا يبقى لدينا من هذه الاسطورة بعد رفض ذلك كله ؟! .

* * *

ب ـ مسيلمة :

روى الطبري جلّ اخبار مسيلمة عن سيف بن عمر (٣/١٤٧ و ١٨٤ و ١٨٧ و ٢٤٢ و ٢٤٩ و ٢٧١ و ٢٨١ — روايتان — و ٢٨٢ و ٢٨٦ — روايتان — و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩١ و ٢٩٣ و ٢٩٤ — روايتان — و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٣١٤) ، وهو سند أوهى من بيت العنكبوت ـ كما مر — .

وأسند الباقي من اخبار هذا الرجل الى ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق (٣/١٣٧) ـ ثلاث روايات ـ و ٣/١٤٦ ـ روايتان ـ و ٣/٢٠٧)، وقد سبق منّا بيان خلل هذا السند ووهنه فلا نكرر .

وبقيت من اخبار مسيلمة رواية واحدة أوردها الطبري بلا سند (٣/٢٧٣) ، وهي لارسالها لا تصلح للاستدلال او المناقشة .

ومع كل هـــذا الوهن الذى صاحب السند فأسقط هذه الروايات عن الاهتمام والاحترام ، فان الاضطراب والتناقض

الذي بدا جليا بين مضمون هذه الأخبـــار قد اسقط قيمتها كل السقوط .

ان الطبري يروي ان مسيلمة قد ارتد وادعى النبوة في حيـاة النبي ــ ص ــ (١٣٨/٣ و ١٤٦ و ١٨٦) ، وانه قد كتب الى النبي ــ ص ــ رسالة يقول فيها : « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليـك ، فاني قد أشركت في الامر معك ، وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ، ولكن قريشا قوم يعتدون » ، وان النبي ــ ص ــ قد أجابه : « من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب. سلام على من اتبّع الهدى . أما بعد : فان الارض لله يورثها من يشاء من عبـاده والعاقبة للمتقين » (١٤٦/٣) ، وان بني حنيفة قد أصفقت على الاقرار بما يقول مسيلمة ــ أي ارتدت معه ــ في حيـــاة النبي ــ ص ــ (١٣٨/٣) وان عدد هؤلاء كان « يومئذ أربعين ألف مقاتل » (٢٨١/٣) .

ويروي في مكان آخر أن مسيلمة كان قدم الى المدينة المنورة والتقى بالنبي ــ ص ــ هو وقومه بنو حنيفة ، وأنه كلم وسأل النبي فأجابه ــ ص ــ بقوله : « لو سألتني هـــذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك » (١٣٧/٣) .

ثم يروي في مكان ثالث ان مسيلمة قد قدم الى المدينة ولم يذهب مع قومه للقاء رسول الله ــ ص ــ ، ولكن النبي أمر له من المال بمثل ما أمر به لافراد قومه وقال ــ ص ــ عنه مخاطبـــا بني حنيفة : « أما انه ليس بشرّكم مكانا ، يحفظ ضيعة اصحابه » (١٣٨/٣) .

واذا كان مسيلمة قد ارتد في حياة النبي ــ ص ــ كما مرّ فكيف يصح من الطبري أن يروي أن مسيلمة قد توحّى وادعى النبوة بعد وفاة رسول الله ــ ص ــ (٢٤٢/٣) ؟!

والشيء المثير للعجب ما جاء في بعض روايات الطبري من ان مسيلمة بعد ارتداده زعم انـــه يضاهي القرآن بسجعه وانه أحل لقومه الزنا والخمر ووضع عنهم الصلاة ، ولكنه مع ذلك كله كان يشهد لمحمد بالنبوة (١٣٨/٣) ، وان مؤذنه كان « يشهد في الاذان ان محمداً رسول الله » (٢٨٣/٣) .

ومع كل هـــذا التهافت والتناقض بين مضمون الروايات وكل ذلـــك الضعف والطعن بسندها هل نستطيع استخلاص حقيقة تاريخية منها ؟ وكيف يكون ذلك ؟

هل ارتد مسيلمة في حياة النبي او بعد وفاته ؟

هل اجتمع بالنبي أم لا ؟

هل فرض النبي له حقا في المال ولماذا ؟

هـــل ادعى النبوة ام كان يؤذّن بأذان المسلمين ويصلي صلاتهم ؟

ولذا كان قد ارتد في حياة النبي واصفق قومه على الاقرار به والارتداد معه ، وكان عددهم أربعين ألف مقاتل ، فلماذا أمر النبي بتجهيز جيش لحرب الروم ولم يفكر في ارسال من يقوم بتأديب هؤلاء المرتدين ، وهم بهذا العدد الضخم وبمواقعهم القريبة من المدينة المنورة ؟! .

* * *

ج ـ طليحة :

روى الطبري جل أخبـــار طليحة عن سيف بن عمر (٣/١٤٧ و ١٨٥ و ١٨٦ و١٨٧ – روايتان – و٢٤٢ و٢٤٤ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و٢٥٦ و٢٦٠ – روايتان ـ و٢٦١)، وهو سند سبق منا رفضه جملة وتفصيلا .

كما اسند روايتين تتعلقان بهذا الرجل الى ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحاق (٣/٢٥٦ و ٢٦٦) ، وقد مر معنا تفصيل القول في ضعف هذا السند وتوهينه .

وتبقى من مجموعة أخبـــار طليحة رواية واحدة اسندها الطبري الى هشام بن الكلبي (٣/٢٥٤) ، ولا علاقـــة لها بمسألة الارتداد مطلقا ، وانما هي خاصة بموضوع الحرب بين طليحة وخالد بن الوليد .

ومع غض النظر عن وهن هذا السند وتفاهته فان مضمون الروايات بارز الاضطراب والتناقض ، وذلك من جملة الادلة – او اهمها – على تأكيد تفاهة هذه الروايات .

ان الطبري يروي أن طليحة قد ادعى النبوة وسجع ببعض الفقرات بزعم الوحي (٣/٢٤٢) .

ويروى ان طليحة جاء الى الخليفة عمر بن الخطاب يبايعه فسأله الخليفة : « ما بقي من كهانتك ؟ » (٣/٢٦١) .

وان الطبري يروي ان طليحة قد خرج في بلاد بني أسد في حياة النبي – ص – (٣/١٤٧)،وانه قد « عسكر بسميراء، واتبعه العوام ، واستكثف أمره » (٣/١٨٦) .

ثم يروي بعد ذلك انـــه قد «توحّى» أي ادعى الوحي والنبوة بعد وفاة النبي – ص – (٣/٢٤٢) .

والطبري . بعد أن يؤكد برواياته ادعاء طليحة النبوة كما مر ، يروي أن أصحاب طليحـــة قد ارسلوا رسلهم الى الخليفة على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ، فرفض الخليفة هذا العرض (٣/٢٤٤) .

ويروي الطبري ان طيئـــا قد بايعت طليحة واجتمعت عليه ووقفت على حدود أرضها ترقبا للطوارىء (٣/٢٤٤) .

ثم يروي بعد ذلك عن خالد بن الوليد انه قال لاصحابه وقد رأى ما بهم من الجزع : « هل لكم أن اميل بكم الى حي من احياء العرب ، كثير عددهم ، شديدة شوكتهم ، لم يرتد

منهم عن الاسلام احد ؟ » فقال له النـــاس : ومن هذا الحي الذي تعني ، فنعم والله الحي هو !؟ ، قـــال لهم : طيء » (٣/٢٥٥) .

وتبقى الاسئلة الحائرة – على رغم زخم هذه الروايات وجعجعتها – بدون جواب معقول او حل مقبول .

هل كان طليحة كاهنا ام مدعيا للنبوة ؟

هل ارتد في حياة النبي – ص – ام بعد وفاته ؟

هل كان واصحابه مرتدين ام من مانعي الزكاة ؟

هل كانت طيء مقرة بزعم طليحة النبوة أم بقيت على اسلامها ؟

واذا كان قد ارتدّ في حياة النبي – ص – ، «واستكثف أمره » فلماذا لم يحاربه النبي ولم يرسل جيشا لتأديبـــه هو وأصحابه وارجاعهم الى الحظيرة الاسلامية الموحدة ؟

د ـ سجاح :

روى الطبري جل اخبار سجاح عن سيف بن عمر ٣/٢٦٩ – ٢٧٣ و ٢٧٥ و ٢٨١) ، وقد أوضحنا بما لا مزيد عليه سقوط هذا السند عن الاعتبار والاهتمام .

وهناك رواية واحدة أوردها الطبري بدون سند (٣/٢٧٣ – ٢٧٤)، وهي الرواية التي تقص علينا اسطورة اجتماع مسيلمة بسجاح وما دار في ذلك الاجتماع من قصص الجنس وأراجيزه.

ولما كانت أخبار سجاح مروية بلا سند او بسند يرجع الى سيف بن عمر فانها محكومة بالاهمال والاعراض الكاملين ، ولا يصح للبحث التاريخي الجاد أن يستند اليها بأي وجه من الوجوه .

ومع ذلك كله فان مضامين هذه الروايات او الاساطير بادية التناقض والاضطراب ، وقديما قالوا : « الكذاب كثير النسيان » .

ان الطبري يروي ان سجاحا قد « تنبّت بعد موت

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجزيرة في بني تغلب»(٣/٢٦٩).

ثم يروي بعد ذلك بقليل انها «كانت راسخة في النصرانية، وقد علمت من علم نصارى تغلب » (٣/٢٧٢) .

ثم يعود فيروي بعد ذلك ايضاً أن مسيلمة قد أمهر سجاحا وضع صلاتين مما جاء به محمد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر (٣/٢٧٤) .

وما ادري كيف استطاع الطبري أن يجمع بين هذه المتناقضات ؟.

هل ادعت سجاح النبوة والوحي أم انها كانت راسخة في النصرانية ؟.

وهل تعتبر من المرتدين – أي أنها أسلمت ثم كفرت – أم أنها انتقلت من النصرانية الى ادعاء النبوة ، فلا ارتداد ؟.

وهل كان اصحابها مرتدين – أي رجعوا عن الدين الى الكفر – أم ظلوا مسلمين يقيمون الصلاة ، حتى اسقط عنهم مسيلمة صلاتين واستمروا في اداء الصلوات الثلاث الاخرى ؟

وأخيراً وليس آخراً ، فهل كانت النظرة العربية للمرأة – يومذاك – تجيز لهذه الآلاف المؤلفة من ابناء القبائل أن يبايعوا

امرأة بالنبوة وينتقلوا ـ بهذه السرعة المذهلة ـ من مبدأ الوأد الى مرتبة الخضوع والبيعة للمرأة ؟! .

صحيح ، ان الله تعالى قد أعز المرأة بالاسلام وفرض لها كرامتها وشأنها وعزز دورها في بناء الحياة ، ولكن المجتمع العربي الذي ما زال ريفه حتى اليوم يمتهن المرأة ولا يمنحها نظرة الاحترام الطبيعي لم يكن في ذلك اليوم بهذه المثابة من تحرر الفكر وعمق الادراك لتقدير قيمة المرأة على الوجه المطلوب ، فضلا عن تأميرها ومبايعتها على هذا النحو المزعوم.

★ ★ ★

٥

منع الزكاة

وهل يشكل منع الزكاة ارتدادا وكفرا في المفهوم الاسلامي ؟ .

والجواب بكلمة صريحة وقاطعة : كلا .

ولو راجع القارىء كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين لاطمأن بسلامة هذا النفي وصحته . وحسبنا نظرة نلقيها على بابي وجوب الزكاة واثم مانعها في صحيحي البخاري ومسلم[1] لنعلم بان مانع الزكاة قد اوعده الله ورسوله بالعذاب المقيم والعقاب الاليم ، من دون ان يكون في البين ما يصرح بالكفر او الارتداد او الرجوع عن الاسلام ، وذلك لان حكم

(١) صحيح البخاري : ٢/١٢٤ و١٢٦ وصحيح مسلم : ٣/٧٠ و٧٤.

الامتناع عن دفع الزكاة غير حكم انكار التشريع والوجوب المفروض .

ومع أن بعض الصحاح قد روى حديثا نبويا في الصلاة يقول: «ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[1]، وسواء قلنا بضرورة تأويل معناه أم لم نقل ، فاننا لم نجد مثله في تلك الصحاح في ترك الزكاة .

★ ★ ★

واذا كان هذا هو الحكم الشرعي في المسألة – وهو كذلك قطعا – فبماذا نبرر ما نقرأ في نصوص الطبري مما يدل صراحة على ان حكومة الخلافة يومئذ قد اعتبرت كل مانع للزكاة او ممتنع عن دفعها لجباة الحكومة كافرا ومرتدا وراجعا عن الاسلام ؟! .

لقد روى الطبري في تاريخه (٣/٢٥١) : ان مما جاء في كتاب الخليفة الموجه الى قبائل العرب ما لفظه : «والداعية الأذان ، فاذا أذّن المسلمون فأذنوا كفّوا عنهم ، وان لم يؤذّنوا عاجلوهم . وإن أذّنوا أسألوهم مـــا عليهم ، فان أبوا عاجلوهم ، وان أقروا قُبِل منهم » .

(١) صحيح مسلم : ١/٦٢ .

وروى الطبري أيضاً (٣/٢٤١) : ان الخليفة «قد جاءته وفود العرب مرتدين ، يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة . فلم يقبل ذلك منهم وردهم » .

كما روى أيضا (٣/٢٤٤) : ان هؤلاء الذين يسمون بالمرتدين «قد بعثوا وفودا فقدموا المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم مـــا خلا عباسا ، فتحملوا بهم على أبي بكر على ان يقيموا الصلاة وعلى ألا يؤتوا الزكاة ، فعزم الله لأبي بكر على الحق ، وقال : لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه » .

وروى كذلك (٣/٢٥٨) : ان هؤلاء «نزلوا على وجوه المسلمين لعاشر من متوفى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، فعرضوا الصلاة على أن يُعفوا من الزكاة...ثم أتوا أبا بكر... فانه أبى الا ما كان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يأخذ ، وأبوا ، فردهم » .

وروى أيضا (٣/٢٥٩) : ان قرة بن هبيرة من زعماء بني عامر قال لعمرو بن العاص : «ان العرب لا تطيب لكم نفسا بالاتاوة ، فان أنتم أعفيتموها من أخـــذ أموالها فستسمع لكم وتطيع ، وان ابيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم . فقال عمرو : أكفرتَ يا قرة ؟ » !! .

وروى أيضا (٣/٢٦٤) : ان خالدا كان يصرف همتـه وجهده نحو « تتبّع الثأر ، وأخذ الصدقة ، ودعـــاء الناس وتسكينهم » . .

وروى في خبر الفجاءة (٣/٢٦٥) : انه خرج يستعرض النـاس : المسلم والمرتد ، يأخذ أموالهم ، ويصيب من امتنع منهم » .

وهكذا يبدو من هذه النصوص وما كان على شاكلتها ان المشكلة – في واقعها – امتناع الناس عن دفع الزكاة لعمّال الحكومة ، واعتبار هذا الامتناع كفرا وردة !! ، من دون ان يكون في تلك الروايات مـــا يدل على انكار وجوب الزكاة وتشريعها الالهي .

ولأن المسألة في واقعها امتنـــاع عن دفع الزكاة وليس انكاراً للوجوب فقد انكر الخليفـــة عمر بن الخطاب حرب هؤلاء الممتنعين ، ولم يجد في هذه الحرب ما يبررها قرآنيا وما يصححها سنة وسيرة، ولكنه عاد فتراجع عن موقف الانكار واقرّ مشروعية هذه الحرب ، فقد روى البخاري والترمذي بسنديهما قالا :

« قال عمر بن الخطـــاب لأبي بكر : كيف تقاتل الناس

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، ومن قال لا اله الا الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقّه ، وحسابه على الله ؟ . قـــال ابو بكر : والله لأقاتلن من فرّقَ بين الزكاة والصلاة ، وان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه . فقال عمر بن الخطاب: فو الله ما هو الا أن رأيت ان الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق »[1] .

●

ولتأكيد هذه الحقيقة وتوضيح انها كانت امتناعا وليست انكاراً ، نورد النصوص الآتيـــة مستلة من روايات الطبري واقاصيصه عسى ان يكون فيها ما يقنع المتشككين والمترددين:

لقد روى الطبري خلال اخبـــار مَن سمّاهم المرتدين : « وقدمت هوازن رجلا وأخّرت رجلا، أمسكوا الصدقة . . » (٣/٢٤٢) أي لم يرسلوها الى المدينـــة المنورة . ولم يذكر الراوي أسباب هذا الامساك ، وهل كان نتيجة عدم الاعتراف

---

(١) صحيح البخاري : ٩/١٩ – ٢٠ وسنن الترمذي : ٣/٤ – ٤ .

بشرعية الحكم القائم ، أو بدافع الانتظار ريثما يتجلى واقع أمـــر المسلمين اكثر فأكثر ، أو بسبب الرغبة في التمرد على الدولة ؟ .

وروى الطبري أيضاً : أن قيسا بن عاصم – وهو أحـد عمال النبي (ص) على صدقات بني تميم – « قسّم الصدقات التي كانت اجتمعت اليـه في المقاعس والبطون » (٣/٣٠٥) وقريب منـــه في (٣/٢٦٨) . وتقسيم الصدقات صريح في اقرار هؤلاء بوجوب الزكـــاة ، ولكنهم فضلوا توزيعها على المستحقين منهم .

كما روى تحت عنوان (ذكر خبر حضر موت في ردتهم) وبعد ايراد بعض التفاصيل – وكلهـــا من أحاديث سيف بن عمر طبعاً !! – : ان زياداً بن لبيد البياضي عامل حضرموت « أعجبته بكرة (اي ناقة) من الصدقة ، فدعا بنار فوضع عليها الميسم (ميسم ابل الزكاة) ، واذا الناقة للعداء بن حجر وليست عليه صدقة ،وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنها غيرها ، فقال العداء : هذه شذرة باسمها ، فقال الشيطان(وكان اخو العداء اسمه الشيطان) : صدق أخي فاني لم اعطكموها الا وأنا أراها غيرها ، فأطلق شذرة وخذ غيرها . فرأى زياد ان ذلك منه اعتلال ، واتهمه بالكفر ومباعدة الاسلام وتحري

الشر » ، ثم كثر الأخذ والرد بين الطرفين واستنفر كل منهما أصحابه ومَن معه،وانتهى بهم الامر الى الحرب واراقة الدماء (٣/٣٣٢ – ٣٣٣) .

وهكذا تكون ردة أهل حضر موت عبـارة عن ناقة أعجبت العـامل فكانت سبباً لاتهام هؤلاء المسلمين « بالكفر ومباعدة الاسلام » ! ، والى كثير من امثال ذلك .

●

وعلى كل حال !

فاننا بعد التدقيق في كل نصوص الطبري المعنيّة بأخبار الردة لم نجد أي نص صريح يـدل على انكار تشريع الزكاة من قبل هؤلاء المتهمين ، كي يكون ارتدادا بالمفهوم الاسلامي للارتداد .

كما اننا لم نجد اي مبرر ديني لاعتبار مانع الزكاة مرتدا أبداً . بل ان الامام أبا حنيفة قد ذهب الى ان وجوب الزكاة غير فوري ، بل هي « على التراخي ، فيجوز التأخير ... ثم قال : لو مات قبل ادائها تسقط بموته »[1] .

---

(١) المنخول للغزالي : ٥٠١ .

ولذلك فاننا لا نرى وجهاً لما عبرت عنه السلطة يومذاك من اعتبار كل فرد من هؤلاء مرتدا وراجعا عن الاسلام كما في الطبري (٣/٢٥١) .

ولقد أصاب الشيخ علي عبد الرازق كبد الحقيقة حين قال عن هؤلاء المسلمين الذين سُموا في لغة التاريخ بالمرتدين : انهم « رفضوا الاذعـان لحكومة أبي بكر » كما رفض غيرهم من جلّة المسلمين ، فكان بديهيا أن يمنعوا الزكاة عنـه لأنهم لا يعترفون به ولا يخضعون لسلطانه وحكومته »[1] .

وهذا هو الحق الذي ليس من حق غيره .

★ ★ ★

(١) الاسلام واصول الحكم : ١٩٤ .

٦

انتهينا في الصفحات السابقة الى نتيجة ثابتة خلاصتها : ان نصوص الردة كما وردت في تاريخ الطبري مرفوضة جملـة وتفصيلا .

مرفوضة من حيث السند، بما حوى هذا السند من كذابين ووضّاعين ومجهولين .

ومرفوضة من حيث الدلالة ، بما حملت تلك النصوص من تناقض واضطراب وتهافت وتضاد .

كذلك لم نعثر خـلال البحث على أي سند وثيق لقصص « المتنبئين » واساطيرهم المتداولة .

كما لم نجد دليلا يطمئن اليـه على صحة روايات « منع الزكاة » وتبرير قتل مانعيها لو امتنعوا عن الدفع .

واذن :

فماذا حدث يومذاك ؟ ولماذا تلك الحروب ؟ ، ومـا هو التفسير الصحيح لتلك الحوادث والاحداث ؟ .

ولنعد الى الطبري نفسه لنبحث عن جواب هذه الاسئلة بين أكداس رواياته ونصوصه واخباره المتعنة المطنطنة .

يروي الطبري (٣/٢٥٣) : ان طيأ قالت لعدي بن حاتم: « لا نبايع ابا الفصيل ابدا » فقال : لقد أتاكم قوم ليبيحنّ حريمكم ، ولتكننه بالفحل الاكبر » .

ويروي (٣/٢٥٥) : ان أسداً وفزارة كانت تقول : «ولا والله ! لا نبايع ابا الفصيل ابدا » .

ويروي (٣/٢٥٧) : ان عيينة بن حصن قـام خطيبا في غطفان فقال : « والله لئن نتبع نبياً من الحليفين أحب الينا من ان نتبع بيتاً من قريش ، وقد مات محمد ، وبقي طليحة ، فطابقوه على رأيه » .

ويروي (٣/٢٥٩) : ان عددا من وجهـاء المسلمين كانوا يقولون ذات يوم : «ما أخوفنا على قريش من العرب وأخلقهم أن لا يقروا بهذا الامر » .

ويروي (٣/٢٧٩) : « ان أبا بكر كان من عهـده الى جيوشه : ان اذا غشيتم دارا من دور الناس فسمعتم فيها اذانا

للصلاة فأمسكوا عن اهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا ، وان لم تسمعوا اذانا فشنوا الغارة فاقتلوا واحرقوا » .

ويروي (٣/٣٠٣) : ان ربيعة قد اجتمعت وبالبحرين وارتدت ، فقـالوا : نرد الملك في آل المنذر ، فملكوا المنذر ابن النعمان بن المنذر » .

ويروي (٣/٣٣٧) : ان الخليفة ابا بكر قد كتب « الى المهاجر مع المغيرة بن شعبة : فان ظفرتم بالقوم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذريـة ان اخذتموهم عنوة او ينزلوا على حكمي » .

ويروي (٣/٢٢٥) : ان النـاس قالوا للخليفة ابي بكر عندما أراد انفاذ جيش اسامة : « ان هؤلاء جل المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتفضت بك » .

وتكون خلاصة هذه الروايات وما كان على شاكلتها : ان سبب تلك الحروب والاحداث : « رفض لبيعة »،« نفرة من تسلط قريش »،«نقمة »،« تمرد على حكم »،« انتقاض بحاكم » .

وان غرض الدولة الرئيسي من كل تلك الحروب والاحداث: هو « النزول على حكم الخليفة » .

وليس في ذلك كله اي معنى من معاني الكفر او الارتداد!.

ولهذه الاسباب والنتائج ذهب العالم الازهري المعروف الشيخ علي عبد الرازق الى اعتبار تلك الحروب حروبا سياسية لا علاقة لها بالدين ، وفي ذلك يقول :

« لسنا نتردد لحظة في القطع بان كثيراً مما سموه حرب المرتدين في الايام الاولى من خلافة ابي بكر لم يكن حربا دينية ، وانما كان حربا سياسية صرفة ، حسبها العامة دينا وما كانت كلها للدين . ليس من عملنا في هذه المقام أن نبين لك تلك الاسباب الحقيقية التي كانت في الواقع مثارا لكثير من حرب الردة ... ولكن يخيل الينا انك قد تظفر ببعض الاسباب الاساسية المهمة اذا انت دققت النظر في انساب وقبائل الثائرين على ابي بكر وعرفت صلتهم من قريش » . وما كان هؤلاء من غير شك مرتدين ، وما كانت محاربتهم لتكون باسم الدين . فان كان ولا بد من حربهم فانما هي السياسة » .

« كان اذن نزاع غير ديني... كان نزاعا في ملوكية ملك، لا في قواعد دين ولا في اصول ايمان » .

ثم لخص الشيخ عبد الرازق كل افكاره بهذا الخصوص بقولـه :

« كم نشعر بظلمة التاريخ وظلمه كلما حاولنا ان نبحث جيدا فيما رواه لنا التاريخ عن اولئك الذين خرجوا على ابي بكر ، فلقبوا : «المرتدين» ، وعن حروبهم تلك التي لقبوها: «حروب الردة»،ولكن قبسا من نور الحقيقةلا يزال ينبعث من بين ظلمات التاريخ »[1] .

والشيء الملفت للنظر والمثير للعجب ان نصوصا كثيرة اوردها الطبري تحدثنا عن امتناع كثير من الصحابة عن « البيعة » ، ومع ذلك فلم يطلق عليهم اسم الارتداد، ويبدو ان الظروف الداخلية للمدينة المنورة لم تكن تساعد على اتهام هؤلاء « المتنعين » بالارتداد ، ولعل من جملة تلك الظروف خشية تمزق الغلاف الذي غلفت به حركات المتمردين في اطراف الدولة الاسلامية بما كان يطلق عليهم من اسم « الكفر » و « الارتداد » .

ان الطبري يروي – مثلا – :

« ثم قال ابو بكر ... فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت الانصار او بعض الانصار : لا نبايع الا علياً » (٣/٢٠٢) .

---

(١) الاسلام واصول الحكم : ١٩٣ - ١٩٧ .

« أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحـــة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال : والله لاحرقن عليكم او لتخرجن الى البيعة ، فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه » (٢٠٢/٣) .

وفي رواية اخرى عن تخلف علي والزبير : «فانطلق اليهم عمر فجاء بهما تعبا ، وقال : لتبايعان وانتما طائعـــان ، او لتبايعان وانتما كارهان » (٢٠٣/٣)

« فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر فحمد الله واثنى عليـه وقال : ... وانه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – ان علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة ، وتخلفت عنا الانصار بأسرها » (٢٠٥/٣) .

«قال معمر : فقال رجل للزهري : أفلم يبايعه علي مع ستة أشخاص؟ ، قال : لا ولا أحد من بني هاشم » (٢٠٨/٣) .

«لما استخلف ابو بكر قال ابو سفيان : مالنا ولأبي فصيل! انما هي بنو عبد مناف » (٢٠٩/٣) .

ومع كل هذه النصوص التي يكثر ورودها في تاريخ الطبري فانه يخرج عن سيف بن عمر (الكذاب المار الذكر) قوله : « حدثنا الوليد بن جميع الزهري قال : قال عمرو بن حريث

لسعيد بن زيد : اشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم، قال : فمتى بويع ابو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة ، قال : فخالف عليه أحـد ؟ قال لا الا مرتد او من كاد أن يرتد.. قال : فهل قعد أحد من المهـاجرين ؟ قال : لا، تتابع المهاجرون على بيعته ،من غير أن يدعوهم»(٢٠٧/٣).

وهنـا يقع الباحث المحقق في غمرة الحيرة فلا يهتدي الى المخرج .

أيصدّق سيف بن عمر(وهو من هو) عندما يروي تتابع المهاجرين على البيعة من غير دعوة ، وعدم مخالفـة أحد الا المرتد او من قد كاد ! ؟ .

أو يصدق الخليفة عمر بن الخطاب وهو يقول : ان عليـا والزبير ومن معهما (وهم من المهاجرين بلا اشكال) قد تخلفوا عن البيعة ، وتخلفت الانصار بأسرهـا ، وانه اضطر الى ان يقول : « والله لاحرقن عليكم أو لتخرجن الى البيعة » !؟ .

وهكذا ضاعت حقائق التاريخ وسط اكداس الاضاليل والاكاذيب .

* * *

ويحسن بنا – لزيادة الايضاح – ان نروي للقارىء الكريم مثلا عمليا واحدا من أمثلة العمليات العسكرية التي شهدتها الساحة العربية يومذاك باسم الردة :

مالك بن نويرة، عربي عريق المحتد، ومسلم صلب العقيدة، وصحابي صحيح الصحبة، وقد ولاّه رسول الله (ص) صدقات قومه وجعله عاملا من قبله على بني يربوع[1] . وذلك ما لم يتنازع فيه اثنان .

وعندما رفض هذا الصحابي الخضوع للحكم الجديد – بعد وفاة النبي (ص) – ساق خالد بن الوليد الجيش لاخضاعه ، وأسفر اللقاء عن مقتل مالك وجمع غفير من بني قومه بزعم كونهم مرتدين ! .

وعلى الرغم من اهمية هذه الحادثة الدامية ومن صداها الكبير في التاريخ الاسلامي فان الطبري لم يجد مصدراً موثوقاً يروي عنه تفاصيل المأساة سوى المحدث الصادق ! الامين ! سيف بن عمر (٣/٢٦٨ – ٢٨٠) .

ومع كل محاولات سيف في الدس والتشويه والافتراء على

(١) تاريخ الطبري : ٣/١٤٧ و ٢٦٨ .

هذا الرجل المسلم فقد فلتت من مزاعمه جملة تقول : ان الخليفة ابا بكر « ودى مالكا ، وكتب الى خالد أن يقدم عليه » (٣/٢٧٨) .

وانها لجملة ذات معان وابعاد لمن اراد سبر غورها بامعان ، ولكن الطبري قد مر بها مرور الكرام فلم يقف عندها وقفة المتأمل ، ولم يتساءل – كما هو المنتظر – عن المبرر الشرعي لدفع الدية اذا كان مالك مرتدا عن الاسلام كما ادعى المدعون ! .

وهل يلتئم قيام الخليفة بدفع دية مالك مع روايات سيف بكل ما حملت من جلبة وضوضاء ؟ ! .

وهل ينتظر منا في موقف كهذا ان نصحح عمل الخليفة او نصدق مزاعم راو اشتهر بالكذب والوضع والتلفيق كما مر بيانه بالتفصيل ؟ ! .

واذا كانت روايات سيف عن فاجعة ابن نويرة صادقة ومطابقة للحقيقة فلماذا يقول الخليفة عمر بن الخطاب : عدو الله (يعني خالد بن الوليد) عدا على امرىء مسلم (يعني مالكا) فقتله ثم نزا على امرأته » (٣/٢٨٠) .

ولماذا شهد الصحابي المعروف ابو قتادة الحارث بن ربعي باسلام مالك و « عاهد الله الا يشهد مع خالد بن الوليد حربا

ابدا بعدها » ؟ (٣/٢٨٠) .

ولماذا ؟ ولماذا ؟ .

وقضية واحدة – هي قضية مالك – تغنينا عن سرد القضايا الاخرى وبحث دوافعها واسبابها وما احاط بكل واحدة منها من ملابسات ومضاعفات وما يتراقص حولها من علامات الاستفهام .

* * *

والخلاصة القول :

ان النظرة الموضوعية المعمقة لكل نصوص الردة في تاريخ الطبري تؤكد ان هناك « حقيقة » ثابتة أراد لها الرواة والمؤرخون الضالعون في ركاب الحكام والسلاطين ان تضيع ، ولكنها – على رغم كثافة التضبيب – لن تخفى على المؤرخ الفاحص المدقق ، اذ سرعان ما تتجلى له واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .

انها « الحقيقة » التي نستطيع ايجازها فيما يلي :

« حاكم » يتربع على كرسي الحكم ، فيطلب من الناس « البيعة » فيرفض الناس ذلك (لأي سبب من الاسباب) ، فلا يجد وسيلة للبقاء والشرعية سوى « اخضاع » هؤلاء « الرافضين » . وليس من سبيل للاخضاع سوى القوة ، ولا

بد من مبرر يصحح استعمال القوة ضد هؤلاء. واذن : فليكن هؤلاء مرتدين ليصح اشهار السيف عليهم واخضاعهم عنوة . وهكذا كان .

وبذلك يتضح واقع الامر جليا لكل ذي عينين ، وانه بكلمتين : « رفض الخضوع للحاكم » على حد تعبير الدكتور ممدوح حقي ، وليس رفضا لاحكام ولا خروجا على حدود الشريعة ولا ارتدادا عن دين الله القويم وصراطه المستقيم .

وعلى الرغم من ذلك ، فهناك من يقول : آمنوا بهذا كله ، فهذا هو تاريخنا العربي الزاهر ! .

ولكني اقول :

اكفروا بهذا كله ، ليكون تاريخنا العربي زاهرا حقا ، ومشرقا حقا ، ومدعاة للفخر والاعتزاز .

واذا كانت روايات « الردة » في المصادر الاخرى – غير الطبري – من هذا الوزن وعلى هذه الشاكلة ، وكل مضامينها كهذه المضامين ، فلا غرابة لو سمعنا من يشكك بكل هذه

الحوادث وبأسماء المتنبئين وبأكثر ما ارتبط بالموضوع من أطراف ، ومن يعتبرها من نسج الاوهام وخلق الخيال ولم تعش على الارض لحظة من الزمن وفي أي يوم من ايام الدنيا.

وما اكثر المختلَقين والمختلِقين في التاريخ وعلى مرّ العصور.

ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم .



فهرس المصادر والمراجع

الاختصاص ـ المنسوب للشيخ المفيد طهران ١٣٧٩ هـ

الاستيعاب ـ لابن عبد البر القاهرة ١٣٥٨ هـ

الاسلام واصول الحكم ـ علي عبد الرازق بيروت ١٩٦٦ م

الاصابة ـ لابن حجر القاهرة ١٣٥٨ هـ

تاج العروس ـ للزبيدي القاهرة ١٣٠٦ هـ

تاريخ الادب العربي ـ لبروكلمان ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٦٢ م

تاريخ ـ الطبري القاهرة ١٣٨٢ هـ

تفسير ـ الطبري القاهرة ١٣٧٣ هـ

تهذيب التهذيب ـ لابن حجر الهند ١٣٢٥ هـ

رجال ـ النجاشي الهند ١٣١٧ هـ

الروضة البهية ـ للعاملي النجف ١٣٨٩ هـ

سنن ـ ابي داود	القاهرة	١٣٧١ هـ
سنن ـ الترمذي	القاهرة	١٣٨٢ هـ
سنن ـ النسائي	القاهرة	١٣٤٨ هـ
صحيح ـ البخاري	القاهرة « محمد علي صبيح »	
صحيح ـ مسلم	القاهرة « محمد علي صبيح »	
الطبقات ـ لابن سعد	ليزك	١٣٢٥ هـ
الفتنة ـ جمع احمد راتب	بيروت	١٣٩٣ هـ
الفهرست ـ لابن النديم	القاهرة	١٣٤٨ هـ
لسان العرب ـ لابن منظور	بيروت	١١٧٤ هـ
لسان الميزان ـ لابن حجر	الهند	١٣٢٩ هـ
المبسوط ـ للشيخ الطوسي	طهران	١٣٨٧ هـ
مجمع البيان ـ للطبرسي	صيدا	١٣٣٣ هـ
معجم الادباء ـ لياقوت	القاهرة	١٣٥٥ هـ
المنخول ـ للغزالي	بيروت	١٣٩٠ هـ
موسوعة الفقه الاسلامي ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ـ	القاهرة	١٣٨٩ هـ
النهاية ـ لابن الاثير	القاهرة	١٣١١ هـ
وسائل الشيعة ـ للحر العاملي	طهران	١٣٨٨ هـ

فهرس مطالب الكتاب

الصفحة

الصفحة